In the vision of politics and reasons for human success and failure

الفلسفة والواقع الانسانى

دراسة فى صلة الفلسفة السياسية بالفلسفة الاخلاقية

نيقولا ميكيافيلى

Niccolo Machiavelli

(1469 - 1527)

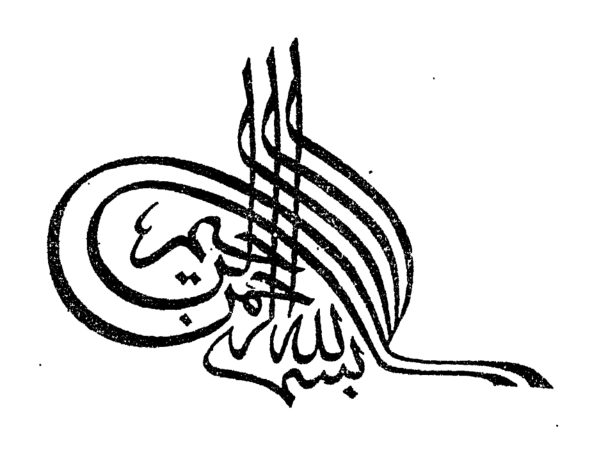
دكتور

عزمى عبد الفتاح البشندى

أستاذ فلسفة السياسة

ورئيس قسم العلوم الإجتماعية

٢٠٠٢



وقل رب زدنى علما

صدق الله العظيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

There Is No God, But Allah and Mohammed

is his Prophet.

دراسات

في معالجة امور الحكم ولعبة الدبلوماسية

...In the treatment of government and the game of diplomacy

" الغاية تبرر الوسائل "

"The end justifies the means "

الحاكم العاقل الواعي لا يجب ان يفي بالعهود والمواثيق خاصة اذا كان في هذا الوفاء تعارضا مع مصلحته

a prudent ruler ought not to keep faith when by so doing it would be against his interest

العنف السياسي كدواء سياسي قوي له حاجة في الدول التي ساد فيها الفساد وفي حالات الطوارىء الخاصة

Despotic violence as a powerful medicine needed in corrupt states and for special contingencies

فهـــــرس

فهـــــرس

يعتبر نيقولا ميكافيلى Niccolo Machivelli (١٤٦٩ - ١٥٢٧) من ابرز فلاسفة السياسة فى بداية عصر النهضة الاوربية ولقد فصل ميكافيلى الضرورة السياسية عن الاخلاق ورأى أن الحاكم فوق الاخلاق التى يراد فرضها فى داخل المجموعة الاجتماعية ، واكد الانانية الشاملة فالطبيعة البشرية انانية فى جوهرها ، وهى تقوم الى حد بعيد الفور على نزعة العدوان والتملك . وتأسيسا على ذلك فالدولة الناجحة يجب ان يؤسسها رجل واحد ، وما يخلقه من قوانين وحكم يحدد الطابع الواقى لشعب هذه الدولة . ومن القانون تنشأ الفضيلة الاخلاقية والمرنية ، وعندما يصبح مجتمعا فاسدا فلا يستطيع ابدا اصلاح نفسه ، ولكن يجب ان يتولى قيادته حاكم يستطيع ان يعيده الى المبادىء الصحيحة التى وضعها ، وبصفة عامة فان التكوين الاخلاقى ، والاجتماعى للشعب ينشأ عن حكمة المشرع وبعد نظره مع ملاحظة ان " الحاكم " باعتباره خالق الدولة ، ليس خارج القانون فحسب ، ولكنه خارج الاخلاق ايضا اذا كان القانون يسنها ، وليس من مستوى يحكم به على افعاله ، فيما عدا نجاح وسائله السياسية لتوسيع نطاق قوة دولته وادامتها . يقول " ميكافيلى " فى كتابه " الامير" "The prince" وعلى ذلك يجب على الامير الذى يرغب فى المحافظة على نفسه ، ان يتعلم الا يكون طيبا دائما ، وانما يكون كذلك اولا يكون حسبما تقضى به الضرورة . وليس له ان يهتم بما يصيبه من لوم بسبب امثال هذه الرذائل التى بدونها قد يكون من الصعب المحافظة على دولته . ذلك انه سوف يتبين ، عندما يفحص جميع الاشياء ، ان بعض الاشياء التى تبدو شبيهة بالفضيلة سوف تقودك الى الدمار اذا اتبعتها ، فى حين ان غيرها التى تكون رذائل فى الظاهر ، سوف ينتج عنها امانك ورضاؤك اذا اتبعتها . (١)

---

(1) Prince , ch : xv . see : " AHistory of political Theory"
by : G.H.SABINE. ch : xvi (MACHIAVELLI) p.297
" A prnice , Therefore , who desires to maintain himself must learn to be not always good , but to be so or not as necessity may require , Nor need be care about incurring censure for such rices , without which the preservation of his state may be difficult . For , all things considered , it will be found that some things : that seem like virtue will lead you to ruin if you follow them ; whilst others , that apparently are vices , will if followed , result in your safety and well - being"

وعلى العموم فقد كان " ميكافيللي " يرى العوامل الاخلاقية والدينية والاقتصادية في المجتمع ، كأنها قوى يستطيع السياسي الماهر ان يحولها لصالح الدولة ، او حتى يستطيع ان يخلقها من اجل الدولة مع ملاحظة ان الحاكم لا يجب ان يرتبط بالفضيلة والاخلاق في كل تصرفاته حفاظا على مصلحته ومصلحة الدولة وازدهارها

لقد طرح نيكولا ميكافيللي في كتابه " الامير " في الفصل السابع عشر السؤال : الذي جاء على لسان الحاكم : هل من الافضل ان تكون محبوبا اكثر من ان تكون مهابا او ان يخافك الناس اكثر من ان يحبوك ؟

is it , asks machiavelli , be better to be loved than feared , or the reverse ?

فأجاب قائلا :

" من الافضل ان تحب ان يخافك الناس وان يحبوك، ولكن لما كان من الصعب ان تجمع بين الاثنين معا . فانه من الافضل ان يخافوك على ان يحبوك اذا كنت لا تستطيع ان تجمع بين الاثنين . فالناس لا تتردد ولا يعتريها القلق في الاساءة الى ذلك الذى يجعل نفسه محبوبا ، بقدر ترددهم في الاساءة الى من يخافونه . ذلك لان الحب والالتزام بهذه الرابطة يرتبط بامور قد تتحطم بالنظر الى انانية الناس ،عندما يخدم تحطيمها مصالحهم ، بينما يقوى الخوف بارتكازه على الخوف من العقاب وهى خشية وخوف غالبا ما يكون فعالا وقلما يمنى بالفشل . وانا استنتج انه ما دام الناس يحبون طالما كان الامر مفيدا لهم ويخافون طالما كان الامر لصالح " الامير " او الحاكم ، فان " الامير " الحكيم العاقل هو الذى يجب ان يعتمد على ما يتحكم فيه هو وما يقع تحت سلطانه لا على ما لا يقدر على ان يتحكم فيه ولا يقع تحت سلطانه "

The answer is that one would like to be and the other , but because it is difficult to combine them , it is far better , to be feard than loved if you cannot be both .. men worry less about doing an injury to one who makes himself loved than to one who makes himself feared the bond of love is one which men , wretched creatures that they are , break when it is to their advantage to do so , but fear is strengthened by a dread of punishment which is always effective . I con clude that science men love as they please but fear when the prince pleases , a wise prince should rely on what he controls , not on what he cannot control .(1)

1- see : Niccolo Machivelli the prince , translated by George Bull , Harmondsworth , 1961 , pp. 96-7

فهـــــرس

الصفحة	الموضـــــوع

لقد دفعت الاحداث السياسية بماكيافيللي الى كتاباته السياسية حيث سعى الى اسداء النصح للبيت الحاكم فى فلورنسم، ذلك البيت الذى كان يعمل سكرتيرا فيه ، وقد دبج افكاره فى مؤلفه بعنوان " الامير " الذى اتمه عام ١٥١٣ فنصح باتباع جميع الوسائل للقبض على زمام الحكم باعتبار ان " الغاية تبرر الوسيلة " كما نصح " الامير " بان يكون فى " مكر الثعلب وخبثه وبطش الاسد وبأسه وقد كان يرمى من وراء كتاباته ان يضع حدا للفوضى فى شبه الجزيرة والى توحيدها ، كما رأى ان الملكية القوية تحد من طموح الاقوياء وفسادهم ، وقد أعجب ميكافيللى بسيزار بورجيا الذى احتذى به واتخذه نموذجا فى كتابه هذا واشار الى الكساندر بورجيا وذلك لانه رأى فيه قدرته على ان يحقق للبابوية نظاما قويا فى عصر فوضى البابوات وجرائمهم ، وقد بزغ تفكير ماكيافيللى فى هذا العالم السياسى بافكار جزئية نصح "الأمير" بان يحذو حذوها وان يتبعها ، وهى ان يمرق " الامير " من القوة الى اللين ثم من اللين الى القوة وفق حاجات الحكم ووفق ظروف المجتمع والدولة .

لقد هاجم ميكافيللى الكنيسة بشدة ورأى فيها سببا من اسباب تفكك ايطاليا وضعفها فى ذلك الوقت وفى هذا نجده يقول :

" نحن الايطاليين مدينون اذن لكنيسة روما " ولقساوستنا اصبحنا غير متدينين واشرارا ولكنا ندين لها بدين اكبر وسوف يكون سبب خرابنا ، الا وهو ان الكنيسة ابقت ولا تزال تبقى على انقسام بلدنا . من المؤكد انه لا يمكن لبلد ان يصبح ابدا موحدا ومتحدا الا اذا اطاع تماما حكومة واحدة ، سواء اكانت جمهورية ام ملكية ، كما هى الحال فى فرنسا وفى اسبانيا ، والكنيسة هى السبب فى ان ايطاليا ليست فى الحالة نفسها ، ولا تحكمها جمهورية واحدة او يحكمها ملك واحد .. اذن فالكنيسة ، التى لا تملك القوة الكاملة للسيطرة على ايطاليا ، ولا تسمح لاية قوة اخرى بان تفعل هذا ، كانت السبب فى ان ايطاليا لم تتمكن من الاتحاد فى ظل رئيس واحد ، ولكن ظلت دائما يحكمها عدد من الامراء والسادة ، مما سبب لها الكثير من الشقاقات والكثير من الضعف بحيث اصبحت فريسة لا للبرابرة الاقوياء فحسب ، ولكن لكل من اختار ان يهاجمها "

" We Italians then owe to the church of Rome and to her priests our having become irreligious and bad ; but we owe her a still greater debt , and one that will be the cause of our ruin , namely , that the church has kept and still keeps our country divided . And certainly a country can never be united and

happy except wher it obeys wholly one government whether a republic or a monarchy as is the case in france and in spain and the sole cause why Italy is not in the same condition , and is not governed by either one republic or one sovereign . is the church .... the church , then , not having been powerful enough to be able to master all Italy , not having permited any other power to do so , has been the cause why Italy has never been able to unite under one head , but has always remained under a number of princes and lords , which occasioned her so many dissensions and so much weakness that she became a prey not only to the powerful barbarians , but of whoever chose to assail her .(1)

لقد انتشر الفساد السياسي وانحطت الاخلاق في ايطاليا كما ظهر الانحلال في النظم والمؤسسات برغم ان المجتمع الايطالي كان مجتمعا متألقا عقليا وخلاقا في مجالات الفن لكن اتضحت معالم القسوة والقتل واصبحت ادوات الحكم العادية ، كما اصبح الايمان والصدق مسألة لا يمكن الاعتراف بها وهكذا نبع - كما يقال - ميكافيلي فلسفة سياسية ومعالجة دبلوماسية لمسائل الحكم وهو يعالج مسائل ترتبط بالاعمال اللاشرعية والمغامرات bastards and adventures انه اشبه بذلك العصر الذي اشار ارسطو الى خطورته اذا كان الانسان لا اخلاقيا اذ لا شك ان " الانسان عندما ينفصل عن القانون والعدل هو اسوأ الحيوانات كلها " ولذلك نبع ميكافيلي نظرية الفلسفة السياسية وفلسفته في معالجة امور الحكم وهو يضع في تصوره وفي حياته ذلك "الرجل الذي لا سيد له " "masterless man"

1- see : Discourses on the first ten books of titus livius , I , 12; trans lated by : C.E. Detmold , the Historical , political , and Diplomatic writings of Niccola Machiavelli , vols , Boston and New York , (1899) ,pp.87-89

. وهكذا كان ميكافيللى اقرب الى نيتشه عندما وصف المسيحية بانها تؤدى الى " اخلاق العبيد" وهذا ما جعله لا يتكلم فى صالح المسيحية بل فى صالح الاديان المرتبطة برجولة اكثر فى العصور القديمة وقد يكون من ابرز ما كتبه فى هذا الصدد ما قاله فى مؤلفه " مقالات" Discourses فى الفصل الحادى عشر حيث نجده يقول :

" ان ديننا يضع السعادة القصوى فى الخضوع والمسكنة واحتقار المآرب الدنيوية ، بينما الاخر بالعكس يجعل الخير الاسمى فى عظمة الروح وقوة الجسد وكل صفات من هذا القبيل تجعل الناس مهيبين .... ويبدو لى ان هذه المبادىء جعلت الناس عاجزين واوقعتهم فريسة سهلة لذوى العقول الشريرة الذين يستطيعون التحكم فيهم بصورة ادعى الى الاطمئنان ، اذ يرون انه فى سبيل الظفر بالجنة يكون الناس اميل الى تحمل الاساءات منهم الى الثأر لها "

" Our religion places the supreme happiness in humility , lowliness, and a contempt for wordly object , whilst the other , on the contrary , places the supreme good in grandeur of soul , strength of body , and all such other , qualities as render men formidable ... these principles seem to me to have made men feeble , and caused them to become an easy prey to evilminded men , who can control them more securely , seeing that the great body of men , for the sake of gaining paradise , are more disposed to endure injuries than to avenge them "

. على اية حال لم يكن يشك ميكافيللى فى اهمية الاخلاق واهمية الحكم الصالح ولكنه كان يدبج فلسفة سياسية لعصر انتشر فيه الفساد الاخلاقى ، كما اشرنا ، ولذلك وجدنا فى فلسفة السياسية مستوى مزدوجا من الاخلاق المستوى الاول للحاكم والمستوى الثانى للمحكوم بصفته مواطنا . وفيما يتعلق بالحاكم اراد ميكافيللى للحاكم ان يكون ناجحا فى حفظ حكمة والمحافظة على قوة الدولة وزيادة قوتها فالحاكم يحب ان يكون قويا غير ملتزم بالاخلاق فهو بعبارة ادق فوق الاخلاق التى يجب عليه ان يسعى بقوته ومكره ودهائه الى فرضها فى نطاق المجتمع والدولة . وفى تقدير ميكافيللى فان قوة الملك او قوة الحاكم ومكره ومرونته وتقلبه وفقا للمواقف المختلفة هو السبب فى نجاحه فى الحكم والسبب فى القضاء على الفساد فى المجتمع والدولة والقضاء على اسباب التدهور الاجتماعى وفى هذا نجده يقول للحاكم :

"من العبث ان تسعى وراء سيء طيب في البلاد التي نراها في ايامنا بمثل هذا الـ... كما هي الحال بالنسبة الى ايطاليا قبل سواها . ولفرنسا واسبانيا ايضا نصيبها من الفساد ، واذا كنا لا نجد في هذين البلدين مثل هذا القدر الكثير من الاضطرابات والمتاعب ، كما هي الحال يوميا في ايطاليا ، فليس هذا يرجع الى طبيعة اهلها ... بقدر ما يرجع الى حقيقة ان بكل منهما ملكا يبقى على وحدتها "

" It is vain to look for anything good from those countries which we see nowadays so currupt , as is the case above all others with Italy . France and Spain also have their share of coruption , and if we do not see many disorders and troubles in those countries as is the so case daily in Italy , it is not so much owing to the goodness of their people ...as to the fact that they have each king who keeps them united "

وتأسيسا على ذلك فقد اكد ميكافيللي انه عندما ينتشر الفساد وتنحط الاخلاق فلا امكانية لحكم ناجح وقادر الا عن طريق القوة المستبدة الواعية بشرط ان يمارس هذه القوة " حاكم " واحد او " امير " واحد او مشرع واحد . وهذا الحاكم هو خالق الدولة الذي يجعل الالتزامات الاخلاقية تصبح مستمدة من القانون والحكم ، ذلك الحكم الذي يشيده " حاكم " لا ينطبق عليه القانون ولا تطبق عليه قواعد الاخلاق ، فهو ليس خارج القانون وحده ، بل هو خارج الاخلاق التي يسنها ويشيدها القانون الذي وضعه هو وهكذا اقر ميكافيللي صراحة " استخدام القسوة والضرر والقتل او اية وسيلة اخرى ، شريطة ان تستخدم هذه جميعا بالقدر الكافي من الذكاء والسرية كي تصل الى غايتها"

" He openly sanctioned the use of cruelty , perfidy , murder , or any other means , provided only they are used with sufficient inteligence and secrety to reach their ends_ (1)

1- see: " AHistory of political theory " fourth edition , by : george H . sabine , rerised by thomas landon thorson (indiana university) , south Bend), Dryden press , Hinsdale , illinois , ch : 18 machiavelli , the omnipotent legislator, p. 324 (2) Ibid : ch : 18 , p 318

وكما اكّد ميكافيللي ان " الدولة الناجحة يجب ان يؤسسها رجل واحد (٢) اكد اهمية اللامبالاة " الاخلاقية للحاكم moral indifference حتى يمكن التحكم في الدولة والاعتـ. عليها والعمل على زيادة قوتها بكل الوسائل مهما كانت مظاهر الفساد في الدولة والمجتمع وهذ نجده يقول

" ولكن يجب ان نفترض كقاعدة عامة ، انه لا يحدث ابدا او انه نادرا ما يحدث ، ان تقوم جمهورية او ملكية على اساس طيب ، او ان تصلح نظمها القديمة كلها . الا اذا فعل هذا فرد واحد فقط ، بل من الضروري ان من تصور عقله مثل هذا الانشاء يجب ان ينفرد باخراجه الى حيز التنفيذ "(١)

" But we must assume , as a general rule , that it never or rarely happens that a republic or monarchy is well constituted , of its old institutions entirely reformed , unless it is done by only one individual , it is even necessary that he whose mind has conceived such a constitution should be alone in carrying it into effect " (1)

وهكذا نجد ان الحاكم وهو الشخص الذي يجب ان تتوفر عنده " اللامبالاة الاخلاقية " وهو كما اشرنا الشخص الذي يصرح لـه بان يستخدم القسوة والغدر والقتل او اية وسيلة لا اخلاقية اخرى ، بشرط ان يستخدم هذه الوسائل جميعها بالقدر الكافي من الذكاء والسرية لكي يصل الى غايته ولكي يحقق اهدافه ، هذا الحاكم لابد ان نتيجة تصرفاته سوف تعفيه من لوم الناس له او لوم الاخرين له اذا عرفوا نتيجة افعاله ومقاصده فهو يقول :

" من الخير ان تعفيه النتيجة عندما يتهمه الفعل " When the act accuses him , the result should excuse him * انظر " مقالات " صفحة ٩ في المقالة الاولى

1- see Discourses . I . 9

ويستطرد قائلا :" وعندما تكون النتيجة طيبة كما في حالة روميلوس الذى قتل اخه فسوف تحله دائما من اللوم ، ذلك ان الذى يجب زجره هو الذى يرتكب العنف بغرض التدمير ، وليس الذى يستخدمه لاغراض خيره " (١)

" When the result is good as in the case of Romulus (his murder of his brother) , it will always absolve him from blame . For he is to be reprehended who commits violence for the purpose of destroying , and not he who employs it for beneficent , purpose "

ونلاحظ ان ميكافيللى قد كره الوسطاء الذين يشكلون الافراد الذين يدعون وساطتهم بين الشعب وبين " الحاكم " فكرة " النبلاء " وكره " طبقة النبلاء " وكره توسطهم بين الحاكم والمحكوم وادعائهم هذا العمل وهذه الواسطة ، واكد ان مصالح " النبلاء " مناقضة لمصالح كل من الحاكم والطبقة المتوسطة في المجتمع والدولة . وذهب الى ان الحكم الذى يسوده النظام يقتضى قمع النبلاء "gentlemen" واستئصال شأفهم انهم اشبه بالدودة التى تأكل من الجسد فهم يعيشون في خمول على الدخل الناتج عن ثروتهم دون قيامهم باية عمل او خدمة مفيدة " فهم في كل مكان اعداء لكل حكم مدنى "

these " gentlemen " who live idly on the proceeds of their wealth without giving any useful service , are " everywhere " enemis of all civil government "

1- Discourses , I , 9

انظر " احاديث " او " مقالات " رقم واحد ، صفحة ٩

وتأسيسا على ذلك التفكير راى ميكافيللى ان " الطريقة الوحيدة لاقامة اى نوع من النظام هناك ، هى تأسيس حكومة ملكية ا. حيث يكون مجموع الناس من الفساد تماما بحيث تعجز القوانين عن كبحهم ، يصبح من الضرورى والامر كذلك اقامة سلطة عليا تستطيع فى يد ملكية ومع سلطات كاملة ومطلقة ان تحد من طموح الاقوياء الزائد عن الحد ، ومن فســــــادهم (١)

<u>الحاكم العاقل يجب ان يبشر دائما بانه " يحفظ السلام والعهد الوثيق "</u>

ان " الامير " والحاكم العاقل يجب ان يبدوا دائما على انه يبشر بانه " يحفظ السلام والعهد الوثيق " (٢)

never does , any thing but preach peace and good faith

ولكنه يجب ان يكون عدوا لهما فى ان واحد ماذا والا فانه سيفقد سمعته فى مناسبات عديدة وتأسيسا على ذلك فان الامير او الحاكم العاقل لا يفى بالعهود والمواثيق a prudent ruler ought not to keep faith خاصة اذا كان فى هذا الوفاء بها تعارضا مع مصالحه ومصالح دولته (٣) انه يتصرف كالثعلب Fox احيانا وكالاسد Lion احيانا اخرى وفقا لمقتضيات الحال والواقع وبصورة عامة انه لا يجب ان يبدوا كارها للوفاء والاخلاص بل يجب ان يقنع الجميع بانه مؤكدا لاهميتها ولا يجب ان يشعر الناس انه لا يحمل صفات انسانية بل يجب ان يقنع الناس كلهم ..

1- Discourses , I, 55

راجع " لعاديث " او " مقالات " الجزء الاول ، ص ٥٥

2- see : polititical and social philosophy , traditional and contemporary readings , by : J. charles king and James A, McGilvray , Department of philosophy , pomona college , McGraw - Hill Book company , New York , st Louis , san Francisco , London , Mexico , New Delhi , panama , Rio de Janeiro , singapore , sydney , toronto , 1973 , Niccolo machiavelli , the prince in whet way princes must keep faith, p . 84 also see : " MAKERS of Modern strategy " Military thought from machiavelli to Hitler , edited by : Edward Mead Earle , with the collaboration of Gordon A. CraiG and Felix Gilbert , princeton , princeton university press, 1971 , chapter 1, machiavelli : The Renaissance of the Art of War , by : Fle[illegible] , pp . 3- 25

الحاكم المحب للسلام المخلص الوفي بالعهد وان يحرص على ان يظهر محبا ليده الاخلاق متعلقا بها " فهو لا يخرج من فمه الا الكلمات التي تدل على انه ودود merciful وانساني humane ومخلص sincere ومحبا للرحمة charity ومتدين religious مع انه قد يكون مضطرا لان يتحول الى صفات مضاده لهذه الصفات ، وبذلك فالحاكم يجب انه يكون مستعدا لان يفعل ما هو ضد الانسانية وضد الاخلاص وضد الرحمة وضد المحبة والود بل وضد الدين " فالغاية تبرر الوسيلة " دائما (١) فالحاكم العاقل هو الذى يستطيع ان يخدع الرجال To deceive men كما ان الحاكم يجب ان يعلم انه اذا :

" انشغل الحكام فى ان يعيشوا مرفهين مترفين اكثر من انشغالهم بالحرب فانهم يفقدون دولهم . وذلك لان السبب الرئيسى لفقدان الدولة هو المتمثل فى عدم احترام هذا الفن كما ان الطريق الى تحقيقه هو ان تكون مهينا له ومتمكنا منه ومنشغلا به فى نفس الوقت (٢)

وهكذا تظهر لنا الاهمية الكبرى التى يعلقها ميكافيللى على فن الحرب فى ارتباطه بان يدخل الحرب ليكسبها طالما وجد نفسه كفأ لها (٣) حتى اصبحت الحرب مع مطلع القرن الثامن عشر هى رياضة الملوك by the eighteenth century war hade become the sport of kings

---

1- see : political and social philosophy , traditional and contemporary readings , by J . charles king and James A. McGilvray , Denartment of philosophy pomona college , McGraw - Hill Book Company , New York , London , Mexico , panama , Rio de Janerro , sing a pore , sydney , toronto , 1973 ,Niccolo Machiavelli , the prince , in what way princes must keep faith, p . 84-85

2- Ibid : of the things for which men , and Especially princes , Are praised or Blamed , the Duties of a prince with Regard to the Militia . pp . 80 - 83 . also see : Donald A . Wells : How Much can " the just war " justify , from the Journal of philosophy , vol LXVI , No . 23 , December 4 , 1969

راجع : الحديث عن " الحرب العادلة " "Just War" وشروط هذه الحرب من تأليف جوزيف ماكينا Joseph Mckenna خاصة صفحة ٥٣٤ وانظر فى ذلك ايضا كتاب " الفلسفة السياسية والاجتماعية " تأليف شارلز كينج وجيمس جلفرى عام ١٩٧٣ وقد اشرت له فى مواضع سابقة .

الاستراتيجية وفن الحرب

" STRATEGY AND " THE ART OF WAR"

وحقيقة الامر ان التفكير الاستراتيجي المعاصر ، والتفكير فى " فن الحرب " قد ... مع ظهور تفكير ميكافيلى الذى شرح فى كتاباته فى فلسفته السياسية وتفكيره الاستراتيجى من خلال تحليلاته للاحداث الواقعة امام اعينه ، فى ايطاليا فى القرن الخامس عشر فلقد كشف عن عيوب الجيوش فى ذلك الوقت ، وحدد الشروط اللازم توافرها لكى يتحقق النصر للجيش ، كما انه كشف عن العيوب الواجب تجنبها باعتبارها من اهم اسباب هزيمة الدولة فى حروبها مع اعدائها .

ولقد نبه ميكافيلى بصراحة وبوضوح الى ضرورة استخدام الوسائل العنيفة مثل استخدام القتل MURDER ونكث العهود PERFIDY او اى وسائل اخرى من اجل الوصول الى الهدف النهائى وهكذا واثار ميكافيلى الى ضرورة واهمية الاستعمال الكامل للامكانيات الدرامية The full use of dramatic possibilities (على حد تعبير فلكس جليرت)(١) من اجل ارعاب العدو والتغلب عليه ، مما استخدمه هتلر فيما بعد مع مطلع الحرب العالمية الثانية فى حربه مع فرنسا والنمسا وبولونيا والدول المحيطة بالمانيا واخيرا دول اوربا المتحالفة مع امريكا وروسيا . ولا شك ان اسرائيل قد استعملت نفس الاسلوب مع الفلسطينين فى اعقاب ثورتهم على المبالغات الاسرائيلية .

لقد كتب فى " الامير " The prince ان الطبيعة البشرية تقوم على الانانية ، وعلى نزعة العدوان والتملك ، وعلى هذا فالدولة الناجحة يجب ان يؤسسها رجل واحد ، وما يخلقه من قوانين ، ذلك لانه اذا وجدت دولة فاسدة تحتاج الى الاصلاح ، فان هذا الاصلاح يجب ان

1- See : Mackers of Modern strategy , by Edward Mead Earle , CH. (1) Machiavelli , the renaissance of the Art of war , by : Felix Gilbert , p . 17 . also see . The art of war , tran E. Dacres (Tudor transalations , First series no 39) (AMS press , New York , NY 1967 , pp . 102 - 104 and see : Fleisher , M . Machiavelli and the nature of political thought (Groom Helm , London , 1973 , ch : 2 , p . 40 - 41)

يتولاه حاكم يستطيع ان يعيد الدولة الى مبادئها الصحيحة التى وضعها ، فقوة الدولة وبنائها الاجتماعى والاخلاقى ، انما ينشأ عن حكمة المشرع وبعد نظره ، مع ملاحظة ان الحاكم ، باعتباره خالق الدولة ، ليس خارج القانون فحسب ، ولكنه خارج الاخلاق ايضا ، وليس هناك من وسيلة تحكم بها على افعال الحاكم ، فيما عدا نجاح وسائله السياسية لتوسيع نطاق الدولة وادارتها .

ويقول ميكافيللى فى هذا الصدد فى كتابه " الامير "

" فانه بالمثل فكما ان الفعل يجلب له الاتهام ، فان النتيجة سوف تصفح عنه وعندما تكون النتيجة حسنه كما فى حالة روميليس (مقتل اخيه روميليس) فان الامر سيغفر له فلا يلام . ذلك لان الذى يلام ويوبخ هو الذى يمارس العنف فى اغراض الهدم وليس الذى يستخدمه فى الاغراض المفيدة"*

ذلك لان الاسلوب الذى يعيش به الرجال يختلف عن الاسلوب الذى يجب ان يعيشون به ، بمعنى ان هذا الذى يترك المسلك الشائع العادى الى هذا الذى يجب ان يتبعه سوف يجد انه سيؤدى به الى الدمار اكثر مما يؤدى به الى الامان

وعلى ذلك يجب على الامير الذى يرغب فى المحافظة على نفسه ان يتعلم الا يكون طيبا دائما وانما يكون كذلك او لا يكون وفقا لما تقتضيه الضرورة وليس له ان يهتم بما يصيبه من لوم بسبب امثال هذه الرذائل التى بدونها قد يكون من الصعب المحافظة على دولته ، ذلك انه سوف يتبين عندما يفحص جميع الاشياء ان بعض الاشياء التى تبدوا شبيهه بالفضيلة سوف تقودك الى الدمار اذا اتبعتها فى حين ان غيرها التى تكون رذائل فى الظاهر سوف ينتج عنها امانك ورضاؤك اذا اتبعتها (١)

*" It is well that , when the act accuses him , the result should excuse him , and when the result is good , as in the case of romulus (his murder of his brother) , it will always absolve him from blame . For he is to be reprehended who commits violence for the purpose of destroying , and not he who employs it for benficent purpose

---

1- See : the prince , CH: XV . see also " A History of political theory " by : G. H . SARSINE , CH: XVI , (MACHIVELLI) , p . 297

For the manner in which men live is so different from the way in which they ought to live, that he who leaves the common course for that which he ought to follow will find that it leads him to ruin rather than to safety .. A prince therefore who desires to maintatain himself must learn to be not always good, but to be so or not as necessity may require. Nor need he care about incurring censure for such vices, without which the preservation of his state may be difficult. For, all things considered, it will be found that some things that seem like virtue will lead you to ruin if you follow them, whilst others that apparently are vices, will, if followed, result in your saftey and well - being " (1)

وكما اشرنا ، فان ميكافيلى ، بهذا ينصح "الامير" بضرورة التلون وفق ما تقتضيه الظروف وذلك من اجل تحقيق خير الحاكم وخير الدولة فى نفس الوقت . كما انه رأى ان العوامل الاخلاقية والدينية والاقتصادية في المجتمع ، كأنها قوى يستطيع السياسى الماهر ان يحولها لصالح الدولة ، او حتى يستطيع ان يخلقها من اجل الدولة مع ملاحظة ان الحاكم لا يجب ان يرتبط بالفضيلة والاخلاق فى كل تصرفاته حفاظا على مصلحته ومصلحة الدولة وازدهارها وهذا هو السر فى ان ميكافيللى قد نبه الى اهمية الاستعمال الكامل للامكانيات الدرامية (*) من اجل المحافظة على استقرار الدولة وانتصارها فى وقت الحرب .

1- See : the prinece, CH : 15

* The full use of dramatic possibilities - see : fifty major philosophers, A reference guide by : DLANE COLLINSON , Routledge, London and New York ,First published 1987 by : Crom Helm see : Niccolo di Bernardo del Machiavelli (1469 - 1577) pp. 41 - 43

العلاقات الدولية وفن الحرب عند ميكيافيلي

الجنود المرتزقة لا يحاربون باخلاص :

وفي كتابه " فن الحرب " Art of war " عالج ميكيافيلي Machiavelli المسائل العسكرية باسهاب وعناية ، ولعبت الحرب في كتاباته السياسية والتاريخية دورا هاما في هذه الكتابات . وقدم ميكافيلي في كتابة " الامير " وفي كتابه The Discorsi اقتراحاته في خصوص الفكر العسكري . وانتقد ميكافيلي النظام العسكري الذي كان موجودا في ايطاليا في ذلك الوقت (في القرن الخامس عشر) . يقول ميكافيلي في وصفه للجنود المرتزقة في الجيش الايطالي في ذلك الوقت :

" لم يكونوا موحدين ، طموحين ، كما كانوا غير مدربين ، خائنون ، تظهر جرأتهم بين الاصدقاء ، ويظهر جبنهم مع الاعداء ، لا يخافون الله ولا يستبقون الامانة مع الناس " (١)

" They are disunited , ambitious , without discipline , faithless , bold amongest friends , cowardly amongst enemies , they have no fear of god , and keep no faith with men "

ويشرح ميكافيلي الطبيعة الارتزاقية mercenary للجنود في ذلك الوقت ، فيذهب الى انه في معركة زاجونادا in the battle of zagonara فان احدا لم يقتل ، برغم النصر الذي حققته ايطاليا فيما عدا لودوفيكو دجلي Lodovico degli مع اثنين من رجاله فقد كان ملقى من على حصانه طريحا في الوحل " (٢)

وفي معركة انجيياري in the batte of anghiari " في اخر العشرون وحتى الاربع وعشرون ساعه ، كان شخصا واحدا قد قتل ، ولم يكن قد جرح ولا طرح على الارض بواسطة ضربه باسله ، ولكن لانه سقط من على حصانه خوفا من الموت (٣)

" Last from the twentieth to the twenty - fourth hour only one man was killed , and he was not wounded .. nor struck down by a valiant blow , but fell from his horse and was trampled to death . "

1- Principe , CH: 2 (opere , p . 25)
2- Istorie , fiorentine , book , 4 ch ; 6 (opere , p . 457)
3- Istorie foirentine , book 5, CH: 33 (opere , p . 5 28)

وفى موقعة مولينلا in the battle of Molinella وبعد صراع نصف يوم " لم يقتل احد ، وجرح فقط بعض الخيول ، واسر قليل من الاسرى على كلا الجانبين (١)

" nobody was killed ; only some hourses were wounded and a few perisoners made on either side "

وهكذا شرح ميكافيلى Machiavelli ان الجنود المرتزقة The condottieri وفصائلهم كانوا يقاتلون بطريقة سيئة لان اهتماماتهم بالحرب كانت مسألة ارتزاقية فقط (٢) ...because their interest in the war was purely mercenary حيث نجده يقول فى شرح ذلك :

ولم يكن لديهم اى حب او دافع اخر ليبقيهم فى الساحة الى جانب المخاطرة الزهيدة التى لم تكن كافية لان تجعلهم مستعدين للموت من اجلك (٣)

" They have no love or other motive to keep them in the field beyond a trifling wage, which is not enough to make them ready to die for you "

وهكذا فانه وفقا لوجهة نظر ميكافيلى ووفقا لتحليلاته لاحداث الحرب فى هذه الفترة فان الاعتبارات الاقتصادية كانت هى التى تحدد طبيعة المنظمات العسكرية the nature of the military organization وايضا هى التى تحدد سلوك الحرب the conduct of war فى ايطاليا خلال القرن الخامس عشر وتأسيسا على ذلك ، نبه ميكافيلى الى انه لكى تنتصر ايطاليا فى الحرب ضد الاعتداءات التى تتعرض لها من قبل اى قوة اوربية فان هذا النصر ، لا يعتمد فقط على مقاييس التقدم الفنى العسكرى بقدر ما يعتمد على ضرورة الغاء

1- Istorie , fiorentine , book 7 , CH : 20 (opere , p . 578)
2- see : Makers of Modern strategy , op . cit p. 12 . see : CH : 1
(Machiavelli : the Renaissance of the art of war
3- principe , ch : 12 (opere , p . 25)

نظام المرتزقة واستخدام العساكر المشاه (١)

The abolition of the mercenary system and the employment of infantry

لقد نبه ميكافيلى فى كل كتاباته - خصوصا فى " فن الحرب " على الاهمية القصوى للمران الجيد ، وجاء هذا التنبيه فى كل مناسبة ، حيث رأى ميكافيلى ان " المران الجيد " the good discipline هو ما يشكل الاساس للجيش الجيد the good Army ويرتبط " المران الجيد " بالنظام الجيد" في نطاق الجنود والجيش وفى هذا يقول ميكافيلى :

" ان النظام الجيد يجعل الرجال بواسل ويقضى على الجبن المختلط " (٢)

" Good order makes men bold and confusion cowards " كما ان التمرين له تأثير اقوى واهم من الشجاعة ، ويمكن للتمرين الجيد ان يتغلب على نسبة عالية من القوة حيث يقول ميكافيلى :

" قليل من الرجال يكونون شجعانا بالطبيعة ، ولكن النظام الجيد والخبرة تجعل الكثيرون كذلك (اى تجعليم شجعانا) فيجب الاعتماد على النظام الجيد والمران فى اى جيش ، اكثر من الاعتماد على

1- See : Makers of Modern strategy , Military thought from machiavelli to Hitler, by edward mead Earle with the collaboration of Gerdon A. CRAIG And FELIX GILBERI , princton university press , 1943 , 1971) CH: 1, p . 13

and also the art of war , tran E . Dacres cludor tranlation , First series no 39) , AMS press , New York , NY 1967) pp . 88 - 92

- Art della Guerra (oper , p . 392)

- Art della Guerra (opere , p 362)

الشجاعة بمفردها (١)

" Few men are brave by nature, but good order and experience make many so. Good order and discipline in an army are more to be depended upon than courage alone "

وهكذا جعل ميكافيلى من المران الجيد good discipline والخبرة experience والتنظيم الجيد good order لاى جيش العنصر الهام بل العناصر الهامة وهى عناصر اهم من مجرد ان يكون الجندى او المقاتل شجاعا بطبيعته (٢) فالى جانب الشجاعة يرتبط هذا التفكير بالتفكير الامريكى المعاصر الذى يتمثل فى التفكير العسكرى الامريكى الذى يهتم حاليا بالتشييد العسكرى والجندى المتخصص من خلال عمليات التشييد المستمرة عن المناورات وبناء الخبرات من خلال قوة الكوستابل ومن خلال عملية التنشئة الوظيفية وهذه كلها ترتيبات جديدة لامور قديمة اشار اليها ميكافيلى وادرجت تحت التنظيم الجيد " والمران الجيد والخبرة من اجل تشييد الجيش واعداده للحرب . وهذا ما تفعله القوات مثل حلف الناتو Nato والقوات الامريكية فى ايامنا هذه استعدادا للحرب تحت اى ظروف .

يجب ان يتعود الجنود على النظام الجيد وعلى العمل فى نطاق تشكيل معين ، وفى هذا يقول ميكافيلى :

" يجب ان يتعلموا ان يحتفظوا بمنزلتهم (برتبهم) وان يطيعوا كلمات القادة وان يميزوا علامات الطبل او الترمبيته وان يلاحظوا النظام الجيد وحسن النظام سواء توقفوا او تقدموا او انسحبوا فيلاحظوا هل هم فى مسيرة ام انهم فى تشابك مع عدو ما " (٣)

"They must learn to keep their ranks, to obey words of command, and signals by drum or trumpet, and to observe good order, whether they halt advance, retreat, are upon a march, or engaged with an enemy.

1- Art della Guerra (opere, p. 292)
see also : Makers of modern strategy, CH : 1 (Machiavelli the Renaissance of the Art of war, by : FELIX GILBERT, pp. 15 - 20.

لقد كتب ميكافيلى فى عام ١٧٥٧ كتابة الشهير الهام "فن الحـرب" the Art of war الذى يعتبر من الكتب العسكرية والسياسية الهامة جداً حتى اليوم حيث يدرس حاليا فى الولايات المتحدة الامريكية ، واكثر من ذلك فان الاستراتيجية العسكرية الامريكية اذا قمنا بتحليلها سنجد انها ما زالت تعتمد على كثير من الافكار التى وردت فى هذا الكتاب ، الذى يعتبر وبحق كتاب الامس واليوم .

كتب ميكافيلى عام ١٥٥٧ فى " فن الحرب" فى سبعه كتب، فنبه الى خطورة الاعتماد على الجنود المرتزقة فى الحروب وخطورة استخدام الجنود المشاه الذين يعملون بالاجر لدى الدولة . حيث تكون اهتماماتهم فى الحرب اهتمامات تجارية نفعية ارتزاقية ولا تتصل باهداف الدولة بالمرة ،كما نبه الى اهمية اعداد الجنود وتمرينهم باستمرار وتعويدهم على الشجاعة واكد ان الشجاعة وحدها لا تكفى فى تحقيق النصر ، فلابد من تعويدهم على النظام والعمل فى نطاق هذا النظام حيث يتعودون سلوك الحرب المنظم وبحيث يكتسبون من مرانهم الجيد الخبرات العسكرية اللازمة لهم فى اوقات الحروب لتحقيق النصر . وهو فى شرحه لهذا الفن " فن الحرب " يقول :

" اذا كسب القائد " الجنرال " المعركة فان هذا يلغى كل خطأ او زله كما يلغى كل فشل او هبوط (١)

if (a general) wins a battle , it cancel , all other errors and miscarriages

وبهذا يعطى ميكافيلى للمعركة العسكرية اهميتها حيث ان تحقيق النصر فيها هو الغاية القصوى وهو ما يحسم كل الامور وينهى كل ما تحقق من اخطاء قبل كسب هذه المعركة العسكرية . واكثر من ذلك فان : " المعركة هى النهاية التى شيدت من اجلها ، كل الجيوش ومن هنا فان كثيرا من الحرص والعناية ، والالام يجب معاناتها من اجل التدريب على هذه المعركة (٢) وذلك معناه فى تقدير ميكافيلى ان " النهاية الاساسية او الهدف الاساسى لكل

1- Art della Guerra (opere , p . 275)
also see : Skinner , Q : Machiavelli (Oxford university press , Oxford 1981 , pp . 91 - 94)
2- Art della Guerra (opere , p . 303)

الحرص والالام التى نحصل عليها من الابقاء على النظام الجيد والتدريب هو ان نجعل الجيش على مقدره مناسبة متوافقا وجاهزا لكى يقاتل اى عدو بطريقة ملائمة لان النصر الكامل عادة يضع نهاية الحرب (١) . وعلى هذا فان " القائد (الجنرال) لا يمكنه تجنب المعركة ، عندما يصمم العدو عليها ويغامر بها فى كل العروض (٢)

" The battle is the end for which all armies are raised , and hence much care and pains are to be taken in disciplining them "

" The main end and design of all the care and pains that are bestowed in keeping up good order and discipline is to Fit and prepare an army to engage an enemy in a proper manner , becouse a complete victory , commonly puts an end to war "

" A general cannot avoid a battle when the enemy is resolved upon it at all hazards "

ومن خلال تحليلنا لافكار ميكافيلى بخصوص " فن الحرب " the art of war" نجد انه بعد ان اكد على اهمية الغاء نظام الجنود المرتزقة الذين يعملون في الحرب لصالح جيش ما او دولة ما ، لماله من اضرار وجوانب سلبية شاهدها هو شخصيا فى اثناء المعارك التى عاصرها وشاهدها . حيث يقوم هذا النظام على اسس اقتصادى ومسائل نفعية فقط لا تتصل بكرامة الجيش او الدولة او الحاكم . وبعد ان ينبه على اهمية " المران الجيد " بالنسبة للجندى او المقاتل ، وعلى اهمية هذا المران فى مجال الاستعداد للمعركة المقبلة حتما فانه يقرر أن النصر الكامل فى المعركة ينهى كل الحرب نهائيا فالنصر فى المعركة يبدد كل الاخطاء السابقة والفشل السابق . والنصر يحتاج الى التنظيم الجيد والتدريب الجيد والخبرة العسكرية

1- Art della Guerra (opere , p . 352)
2- Art della Guerra (opere , p . 309)
see also :
Title of chapteo to of discorsii , book 3 see also the art of war , tran E Dacres (tudor translation , First series no 39) (AMS) press , New York , NY 1967) pp . 100-111

المستقاه من المران والتدريب واكثر من ذلك فان القائد (او السياسي او الحاكم) لا يمكنه تجنب المعركة اذا فرضها عليه العدو ، ومن هنا تصبح مسألة الاستعداد لها واعداد الجيش المستعد لها المتوافق والمتلائم معها والجدير بتحملها امرا لا مفر منه برغم كل ما يحتويه هذا من مصاعب ويتطلبه من الام . ومن هذا التحليل يمكن استخلاص الافكار الثلاثة التالية الهامة

١ ضرورة تنظيم الجيش وتحديده على النظام .

٢- ضرورة التدريب الجيد والمران الجيد والخبرة العسكرية فى الحرب مما يرتبط بالافكار العسكرية الامريكية المعاصرة المتمثلة فى " التشييد المستمر" و " البيئة الوظيفية العسكرية " المستمرة ومما يرتبط بمفهوم " الجندى المتخصص " وهو ما نراه ونشاهده باعيننا فى هذه الايام سواء فى مناورات عسكرية امريكية مشتركة او بريطانية مشتركة مما يذكرنا بمناورات النجم الساطع او الانتشار السريع الى اخره

٣- يجب ان يضع القائد العسكرى (او السياسى او الحاكم) فى اعتباره انه اذا كان يفترض السلام ويسعى اليه فعليه ان يعد جيشه ويدربه ويجعله قادرا على تحمل اعباء المعركة التى قد يصمم عليها العدو.

ولعل هذه الافكار الثلاثة التى اوجزنا فيها فلسفة ميكافيلى السياسية العسكرية تمثل الدرس الذى يجب علينا فى مصر ان نصفه فى ذاكرتنا وبحسب اعيننا خاصة ونحن نشاهد القوى الكبرى المتصارعة المتنافسة تسعى بكل الوسائل وفى كل الاوقات الى دعم جيوشها بالتشييد العسكرى المستمر لها ، وتزويده بالخبرات المتصلة بالحرب سواء بالاشتراك فى مناورات عسكرية واسعة النطاق او بالاشتراك فى حروب فعلية واسعة النطاق تقع على ساحة السياسة العالمية هنا وهناك .

الفلسفة السياسية عند ميكيافيلى
ومصادرها البعيدة

الفلسفة السياسية عند ميكيافيلي ومصادرها البعيدة

لقد اتضح من خلال الكتابات التاريخية والسياسية أن فلسفة السياسة عند ميكيائيلى تتأثر إلى درجة كبيرة بالفكر الفلسفى السياسى عند Zeno المعروف باسم زينو اوف سيتيوم Zeno of Citium صاحب المدرسة الرابعة العظيمه وهى المدرسة الأخيرة فى اثينا ، أسسها زينو وكانت صلتها ضعيفة بأثينا واليونان ، وتذكر المراجع الأجنبية مثل ساباين وكارليل وغيره (*) ان مؤسس هذه المدرسة كان فينيقيا phoenician بمعنى أن أحد والديه كان ساميا Se-mitic ثم تزعم هذه المدرسة بعد ذلك شخصيات فكرية وفلاسفة من آسيا الصغرى حيث كان هناك اختلاط بين اليونانين والشرقيين ، ويذكر ساباين ان المؤسس الثانى لهذه المدرسة هو كريسيبوس Chrysippus الذى جاء من قليقله Cilicia ثم بناتيتوس Panaetius الذى قيل أنه نقل مذهب الرواقية إلى روما من رودس ، وقد أعجب الاسكندر بأفكار هذه المدرسة السياسية وأسس نوع الدولة الذى اقترحه زينو Zeno وفقا لأفكار المذهب الرواقى المتأخر.

على أية حال ، لقد حدث تغير تدريجى فى الفكر الفلسفى السياسى وفى الفلسفات السياسية بعد موت ارسطو، وكما يذكر كارليل فانه «اذا كانت نقطة تعثر عندها تيار اطراد مجرى الفلسفة السياسية فهى عند موت ارسطو»[1] ونريد أن نشير هنا أيضا إلى أن الاسكندر قد تأثر بالأفكار السياسية والأخلاقية

(*) See : W.W. tarn, alexander the Great and the Unity of Mankind (1933), proceedings of the british academy, vol. XIX.
also see : W.W. tran, Hellenistic civilisation, 3d ed. by the author and G.t. Griffith, London, 1952, ch: 10, p. 179 and see also : M.H. Fisch, "Alexander and the stoics", Am. J. philolgy, vol LVIII. 1937, pp. 59, 129, also see : A. J. carlye, History of mediaeval political theory, vol I, 1903, p. 2.

التي دعت اليها المدرسة الرواقية stoicism ، ولذلك وجدناه يقيم مأدبه من أجل الدعوة إلى «اتحاد القلوب» (homonoia)a union of hearts وقد أقام هذه المأدبة في منطقة أبيس Opis بالاسكندرية، وهي منطقة معروفة لسكان الاسكندرية جيدا حاليا ، وقد خطب الاسكندر الأكبر وصلى في يوم اقامته لهذه المأدبة ودعى إلى اقامة اتحاد ورابطة أو أخوة انسانية human brother-hood بين المقدونين Macedonians والفرس Persians ، اذ أنه تأسيسا على ذلك ، يبدو لنا أنه كان يطمع في توسيع دولته وحكمه ونشر سلطانه إلى مناطق أوسع. والذي لاشك فيه أن ميكافيللي قد تعرف على أفكار هذه المدرسة الرواقية الذي أعجب الاسكندر بها وعمل على تنفيذها بل ان مكيافيللي قد أشار إلى الاسكندر وأعماله واعجب بها في أكثر من موضع في مؤلفاته. وخاصة في كتاب الأمير بل ودعي «الحكام» إلى تقليده في أعماله وتصرفاته وأفكاره.

ومما يجدر الإشارة اليه هنا هو أن فكرة الإتحاد Concord تشكل فكرة وثيقة الصلة بالنظرية الاغريقية وخاصة الهلنستيكية Hellenistic theory of kingship في الملكية ونظام الحكم الملكي ، وقد كانت هناك علاقة وثيقة وشخصية بين Zeno وبين ملك مقدونيا الذي كان تلميذا لزينون وهو الملك أنتيجونس Antigonus وكان ابن الملك انتيجونس يدرس أيضا على يد أحد معلمي هذه المدرسة الرواقية وكان يتعلم وفقا لما يميل نحو «الاستبدادية المستنيره» "enlightened despotism" ، وتشير الدراسات إلى أن تارن Tarn مؤلف كتاب «الاسكندر الأكبر ووحدة النوع البشري» عام ١٩٣٣ قد أشار إلى أن الإسكندر الأكبر قد سعى إلى محاولة ايجاد اتحاد بين اليونانين والبرابرة ، وأن الفلاسفة اعتنقوا واحترموا هذه الفكرة بعد وفاة الاسكندر الأكبر ، وأنه مهما يكن من أمر فإن نظرية الملكية ربما كانت لها

مصادر أخرى غير رواقية[1]

ولقد كانت امبراطورية الإسكندر الأكبر والأجزاء التى انقسمت اليها جعلت جزءا كبيرا من العالم القديم خاضعا للملوك فوجدنا البطالمة Ptolemies فى مصر والسلوسين Selucids in persia فى بلاد فارس ، والا نتيجونيدس Antigonids فى مقدونيا Macedonia، كما أن الاتحادات Confedera-tions أيضاً كانت أما خاضعة لنفوذهم وأما تحت ادارتهم. ووجدنا أن الملكيات الجديدة (فى غير مقدونيا) عبارة عن ملكيات مطلقة absolute فلم يكن هناك شكل آخر من أشكال الحكم يمكنه أن يعمل على التوحيد بين اليونانين والشرقيين فى داخل وفى نطاق نظام حكم واحد أو دولة واحدة. وهكذا لم يكن الملك رئيسا للدولة فحسب ، ولكنه كان فى واقع الأمر هو الدولة. وذلك لأنه لم يكن هناك قوة تماسك أخرى تربط جميع أعضاء الدولة أو أجزائها ببعضها البعض، وهكذا أصبح الملك رمزاً للاتحاد والحكومة الصالحة، وقد أدى هذا إلى تأيد الملك وكانت عناصر هذا التأكيد مستمرة فى الشرق من الدين كما أنها كانت موجودة أيضا فى الفكر اليونانى القديم. ضمن نظام الهة المدن اليونانية.

وعلى العموم، لم تفقد قاعدة الحكم المطلق الاغريقية كلها معناها عند اليونانين لأنه ينبغى للحكومة أن تكون شيئا أكثر وأكبر من الحكم الاستبدادى العسكرى، ففى آسيا - كما يذكر جورج سباين - وفى مصر أخذت المسألة طابعا

(1) See . W.W tarn, alexander the Great and the Unity of Mankind (1933), proceedings of the British academy, vol. XIX, see: E. R. Good enough's "political philosophy of hellenistic kingship" in yale classical studies, vol. I (1928), pp 55-69 also see: M.H. Fisch, "Alexander and the stoics". Am. J philology. vol. LVIII (1037), pp 59. 129

دينيا هو تأبد الملك الذى كان يعبد رسميا بعد مماته ، بل وفى حياته. وهكذا أصبحت ابتداء من الإسكندر الأكبر ، أسماء الملوك الافريقيين تدرج ضمن آلهة المدن اليونانية. وأصبح الملك المعبود رسميا نظاما عاما فى الشرق أخذه عنه الأباطرة الرومان فى نهاية الأمر. وبهذه الطريقة انتقل الاعتقاد فى «الالوهية التى تحيط بالملك» إلى التفكير الأوربى. واستمر فيه بشكل ما حتى الأزمنة الحديثة. ولكن نلاحظ أن الكثير من المثقفين لم يكن يعتقدوا فى أن هذا التفكير يرتبط بجزء من عقيدة دينية صحيحه. وانما اغراض هذا التفكير ونتائجه كانت دائما أغراض وأهداف سياسية.

ولكن أعطت هذه الأفكار الاسكندر الأكبر وخلفاء الذين تمتعوا بها السلطة اللازمة لتقوية ودعم تحالفهم مع تلك المدن [١]، خاصة البعيدة عن قلب الدولة. وارتبطت هذه الأفكار بنظرية «الحق الالهى» "divine right" خاصة فى القرن الخامس عشر والسادس عشر بعد ذلك. مما ثار عليه الفكر السياسى الانجليزى عند جون لوك خاصة فيما كتبه وأتى به من أفكار فى نقده لروبرت فيلمر صاحب النظرية السياسية المرتبطة والداعمة لفكرة الحق الالهى للملك*.

ومن الواضح أن هناك علاقة وثيقة بين الفكر السياسى الذى يظهر فى عصر معين وواقع الأحوال السياسية التى تسود فى هذا العصر. ولاشك أن النظرية السياسية تعتبر نتيجة مباشرة للأحوال السياسية التى تسود المجتمع الذى تظهر فيه ، فتنعكس فى هذه النظريات الأحوال الاجتماعية والظروف الاقتصادية فضلا عن الهيئات والمؤسسات السياسية. وفى تفسير ذلك كله وتحليله فإنما تعمل

---

(1) Tarn, op. cit., pp. 5 - 15.

* عالج روبرت فيلمر Robert Filmer موضوع السلطة الابوية وانتهى إلي القول بان السلطة الملكية سلطة مطلقة وغير محدوده ، كما جاء فى كتابه «باتر يبارشا» Patriarcha وانتقد جون لوك البراهين والاسباب التى اعتمد عليها فيلمر فى القول بالسلطة الابوية المطلقة للملوك، كما جاء فى كتاب لوك «مقالتان في الحكومة»

النظريات السياسية نى اتجاه التطور السياسى وتدفع به نحو الأفضل باستمرار

وعلى العموم كان الفكر السياسى مهتما بأمرين الأمر الأول هو «الفرد» والأمر الثانى هو «العالم» أو «العالم المسكون» "inhabited world" وانتهى الأمر بظهور أفكار جديدة عن «الأخوة الانسانية» "human brotherhood" وبصورة عامة بدأت مع الإسكندر مرحلة تصوير الإنسان كفرد له ذاتيته التى ترتبط فى آن واحد بتنظيم حياته الخاصة وعلاقاته مع غيره من الأفراد الذين يكونون معه فى هذا العالم المسكون وكانت نقطة الانطلاق فى تصوره هى خطبة الاسكندر فى أبيس Opis كما سبق ان ذكرت.

كانت البداية ترتبط بسيادة التفكير الذى ارتبط بفكرة أو مبدأ «القانون الطبيعى» ثم ظهور المسيحية ، وكان ظهور المسيحية من أهم التطورات التى شاهدتها الامبراطورية الرومانية. ولقيت المسيحية احتراما كبيرا لكن بعد ذلك حدث صدام بين المسيحين والرومان بسبب امتناع المسيحين عن تقديس الامبراطور. بدأ الأمر أولا مرتبطا بالمبدأ «اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله». مما يوحى بالفصل بين الدين والنواحى الاجتماعية الأخرى ، كان الواقع الرومانى ينظم ويرفع من الامبراطور إلى مصاف الآلهه ، فحدث الصدام بين المسيحين والرومان ، ميز المسيحيون الأوائل بين «المملكة الروحية» التى نادى المسيح بافاقها وبين «الممالك الدنيوية» التى دعت كتابات الحواريين إلى ضرورة طاعة الحكومات ، ابانت الكتابات عن أن الحكومة هى وسيلة تنفيذ اردة الله فى الأرض ، وسمح الحواريين بعدم طاعة الحكومة فى حالة واحدة ، عند تدخل الدولة فى شئون الكنيسة وتعاليمها ، مما يعرقل اتباع وانتشار تعاليم الله واتباعها.

[illegible] آتوى ، والأفضل من تعاليم الحاكم

وقد تبين اباء الكنيسة فكرة القانون الطبيعي، فأصبحت أحد الدعائم القوية للفكر السياسي في العصور الوسطى. واعتبر اباء الكنيسة الحكومة مؤسسة الهيه مقدسة تستمد سلطتها من الله. فطاعة الحكومة جزءا من التعاليم الدينية ذاتها. وظهرت أفكار سانت امبروزو st. ambrose.

وظهرت أفكار القديس أوغستن st. Augustine وازدادت قوة المسيحية وتغلغلت في الحياة الرومانية العامة. حتى أصبح الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية ، أدى هذا إلى زيادة قوة الكنيسة وتركز السلطات في يد البابا ، واتسع نفوذ البابا في الشئون الدنيوية. ووصلت البابوية إلى أقصى درجات قوتها في القرن الثالث عشر. ولكن القرن الرابع عشر شاهد ازدياد قوة الملوك والأباطرة وشاهد اضمحلال وضعف قوة النبلاء والأشراف الذين اعتمد عليهم البابا في ممارسة سلطاته الزمنيه الدنيوية. وأدى هذا إلى ضعف نفوذ وقوة البابا وليس هناك من دليل على ذلك أكبر من أن فرنسا فرضت الضرائب على ممتلكات الكنيسة برغم معارضة البابا بونيفاس. ومن القرن الثالث وحتي القرن التاسع عشر تنامى الاتجاه إلى أن تكون السلطة العليا في أمور السياسة والدنيا في يد الكنيسة ، ولكن هذا الاتجاه بدأ يضعف وبدأ الصراع والتنافس مما أدى إلى انقسام الفكر السياسي إلى اتجاهين أحدهما يؤيد الكنيسة وأحدهما يؤيد السلطة الزمنية أو الدولة أو الحكومة بصوره اقوى، وحول هذه المسائل كان محور النظرية السياسية خلال العصور الوسطى.

ولاشك أن اسهام العصر الروماني في تطور النظرية السياسية لم يكن اسهاما ضخما مثلما حدث في غيره من العصور ،ولاترجع عظمه روما من الناحية السياسية إلى ماقدمته في فكر وفلسفة سياسية بقدر شهرتها لما حققته من انتصارات ونظم سياسية، وبشكل عام ساهمت روما مساهمة فعالة في تطوير

الفكر السياسي وذلك عن طريق مباشر جاء نتيجة الممارسة السياسية الواقعية أكثر من تدبيج أو كتابة نظريات أو فلسفات سياسية خاصة بها.

وظهرت روما أول الأمر في نطاق دولة المدينة City- state تقوم على حكم ملكي تتركز فيه السلطة في يد فئة قليلة من الأسر الارستقراطية. ثم تطور إلى النظام الديمقراطي وفي حوالي عام ٥٠٠ قبل الميلاد طرد آخر ملك وقامت الجمهورية. وبعد مرحلة من الصراع استقر الأمر في نطاق جمهورية مستقرة داخليا. وأخذت روما في التوسع الخارجي، وبدأت في ضم جيرانها من المدن الايطالية المجاورة ، ومارست عمليا في سياستها الخارجية مع غيرها من المدن نظرية ميزان القوى مما مكنها من الاتساع وإقامة الامبراطورية . وأوجدت نظاما سياسيا مركزيا لتبقى على وحدتها وامبراطوريتها وقوتها ، فقسمت الامبراطورية إلى امارات وأقامت على كل امارة حاكما رومانيا له سلطات واسعة في الشئون السياسية والمدنية. واندفعت الجمهورية في روما تحت ضغط يوليوس قيصر وأوجستيس إلى دكتاتورية عسكرية بعد أن فقدت الطبقات الشعبية سلطاتها ونفوذها ، واحتكر مجلس الشيوخ ، الذى وقع تحت تأثير الامبراطور صاحب الرأى النهائي في اختيار أعضاء المجلس، أعمال التشريع في الامبراطورية وامتدت صفة المواطن الروماني في أواخر القرن الثاني بعد الميلاد إلى المقيمين في ولايات أخرى بعيدة ولكنها تدخل في نطاق تكوين الامبراطورية.

لقد كان تأثير المدرسة الرواقية قويا خاصة في الفترة التي أعقبت وفاة أرسطو بقرنين، وقد أخذت هذه المدرسة على عاتقها في جرأة أن تفسر المثل العليا السياسية بحيث تناسب الدولة العالمية أو العظمى ، وهي الفكرة التي تأثر بها الاسكندر الأكبر وعمل على تنفيذها وقد رسمت هذه المدرسة الخطوط العريضة لفكرة أخوة انسانية عالمية ممتدة في ظل عدل يتسع ليشمل الناس جميعا. ثم ان

هذه المدرسة قد قدمت النظره التى تقرر ان الناس متساوون بالطبيعة رغم اختلافهم فى الجنس والمرتبه والثروه، وأصرت هذه المدرسة على القول بأن الدولة العالمية تحتاج إلى اتحاد أخلاقى يقتضي أدبيا من رعاياه أن يخلصوا له، وليس لمجرد أن ينتزع طاعتهم بالقوة القاهره. ولاشك أن هذه الأفكار مازالت حتى اليوم ترتبط بالمثل العليا السياسية للانسان المعاصر.

وبشكل عام فقد أقرت هذه المدرسة كما جاء فى تفكير بناثتيوس - الذى شكل نوعا من الفلسفة الانسانية - وجود مسوغات أخلاقية للعولطف والاطماح الشريفة ذات الطابع العام.

لم تكن هناك فلسفة يونانية أكثر استحسانا عند الطبقة الارستقراطية من الرومان أكثر من الفلسفة الرواقية وأصبحت دار الرواقيين بفضل كريسيبوس كما ذكرت أعظم مدارس أثينا وأكثر هذه المدارس احتراما. وأصبحت الفلسفة الرواقية «عمادا فكريا لكل صاحب عقيدة سياسية أو أخلاقية أو دينيه» [1] وكان هدف هذه الفلسفة مثل غيرها من الفلسفات بعد موت ارسطو هو توفير الاكتفاء الذاتى وتحقيق السعادة للفرد. وكان هناك مثل أعلى دائما يرتبط بفكرتين متعارضتين دائما. الأولى: القديس الذى ينبذ المطالب الدنيويه، والثانيه: الرجل الذى يكد ويعمل.

لكن اتخذت المدرسة الرواقية المبدأ الثانى هدفا لها فى فترة متأخرة (مع أنها لم تكن غير قابلة لفكرة الابيقوري epicurean التى توصى بان من الحكمة الزهد فى الدنيا).

(1) W.S. Ferguson, Hellenistic athens (1911), p. 261.

على أية حال طبق الرواقيين المبادىء التى كانوا يهدفون إلى تعليم الناس اياها، وأهمها الاكتفاء الذاتى عن طريق التدريب الشديد للاراده. وبذلك كانت أهم الفضائل فى نظرهم هى العزيمة والصبر والاخلاص للواجب وعدم الاكتراث بالملذات. كذلك كانت هذه المدرسة تسعى إلى تعزيز الاحساس بالواجب بواسطة تعليم دينى وكان الرواقى يؤمن ايمانا قويا بقدرة مدبر الكون، ويشعر أن حياته رسالة أسندها اليه الإله، تماما كما يسند القائد عملا إلى جنوده.

وكثيرا ما أستعار أنصار هذه المدرسة الرواقية التشبيه الذى يشبه الحياة بمسرح يقوم عليه الناس بدور الممثلين. وهكذا فمن واجب كل انسان أن يلعب بمهارة الدور الذى خلق له، سواء أكان هذا الدور عظيما أم تافها، سعيدا أم تعسا. كذلك كان المبدأ الأساس فى تعاليم هذه المدرسة يقوم على ايمان دينى بوحدة الطبيعة وكمالها، والايمان بنظام أخلاقى حقيقى وكانت الحياة الطبيعية تعنى فى تفكيرهم التسليم بارداة الله، والتعاون فى كل قوى الخير، والشعور بالاعتماد على قوة عادلة فوق قوة البشر، وارتبط تفكيرهم دائما بالطمأنينة المنبعثة عن الإيمان بخير الدنيا ومعقوليتها. وبشكل عام رأت هذه المدرسة الرواقية أنه هناك دائما توافق خلقى أساسى بين الطبيعة الانسانية والطبيعة بمعناها الواسع، وقد تأثر ميكافيلى تماما بهذه الفكرة فى فلسفة السياسة

ونلاحظ أن الرواقيون the stoic قد عبروا عن ذلك بقولهم ان الانسان عاقل وان الإله عاقل man is rational and god is rational والنور الإلهى الذى يبعث فى الدنيا الحياة قد أودع قبسا منه فى روح الانسان The same divine fire that animates the world has cast a spark in to the souls of men، وهذا يجعل للانسان مكانه خاصة بين المخلوقات. وعلى أية حال فالايمان بالله عند المدرسة الرواقية ايمان بقيمة الأهداف

ا . . . عيه وبمسئولية الرجل الصالح فى عمل نصيبه من هذه المسئولية. وعند اتباع هذه المدرسة فإن العقل المنزه عن الخطأ هو الذى يهدى الناس إلى مايجب أن يفعلوه ومايجب أن يتجنبوه، وبذلك فإن العقل المنزه عن الخطأ Right reason هو «القانون الطبيعى» the law of nature وهو المقياس لما هو حق right وعدل just والقانون الطبيعى لايتغير مبادئه وهو ملزم للحاكم والمحكوم معا وهو قانون أهم. كما أعلن كريسيبوس Chrysippus فى كتابه عن القانون :

«ان القانون هو الحاكم المسيطر على أعمال الآلهة والناس جميعا. ويجب أن يكون هو الموجه والحاكم والمرشد لما هو شريف ورصين ، وهو الفيصل فيما هو حق وما هو باطل وهو الذى يهدي كل الكائنات الاجتماعية بطبيعتها الى مايجب عمله ويمنعها عما لايصح عمله»(1).

"Law is the ruler over all the acts both of gods and men. it must be the director. the governor and the guide in respect to what is honorable and base and hence the standard of what is just and unjust. for all beings that are social by nature the law directs what must be done and forbids what must not be done"

ولاشك أن فكرة القانون هذه ارتبطت بفكرة المدرسة الكلبية the cynics التى انكرت حاجة المجتمع المكون من أناس عقلاء إلى أية أنظمة أو مؤسسات

(1) George H. sabine : "A History of political theory" fourth edition. revised by thomas landon thorson indiana university, south bend. Dryden press, copyright 1973, ch: g (the law of nature), the city of the world, p. 148.

لأن اليـونانيـون Greek والبـرابرة barbarian والأشراف والعـامـة والأرقـاء والأحرار والأغنيـاء والفقراء ، كلهم سواء، والفرق الجوهرى الوحيد هو الفرق بين العاقل والأحمق وبين الرجل الذى يمكن أن يهديه الله والرجل الذى يجب أن يدفع إلى ذلك بالقوة . وهذه كلها أفكار نجدها فى فلسفة ميكيافيلى.

على أية حال استعمل الرواقيون stoicism نظرية المساواة لرفع المستوى الأخلاقى وقد كانوا لايهتمون بمسألة الإصلاح الإجتماعى إلا بالقدر الثانوى. ولكن اهتمامهم الأول كان قائما على التأكيد على أن المرء بقيمته ومزاياه الشخصية وليس بمظهره. فكل مايتعلق بالانسان يتوقف على خصائصه(١).

All events a man stands here on his merits; externals cannot help him.

وهنا نجد أن ميكيافيلى يؤكد دائما أن نجاح «الأمير» أو الحاكم يعتمد عليه هو شخصيا وعلى قوته وعزيمته هو شخصيا وليس على مساعدات الآخرين له. أو أى ظروف أخري خارجية.

ونلاحظ أن المدرسة الرواقية stoicism قد اتجهت دائما إلى دعم العمل على زيادة الارتباط والانسجام بين الدول ورأت أن لكل انسان قانونان : قانون مدينته ، وقانون المدينة العالمية ، أو بمعنى آخر قانون العادات وقانون العقل.

There are for every man two laws, the law of his city and the law of the world city the law of custom and the law of reason.

---

(1) Ibid : ch: 9, p. 149.

ونلاحظ من دراستنا لفلسفة ميكيافيلى أنه قد عالج هذان القانونان واهتم بدعم أفكار المدرسة الرواقية فى نطاق هذا الخصوص ، كذلك اذا كانت المدرسة الرواقية قد أكدت أنه من بين هذين القانونين يجب أن يكون لقانون العقل اليد العليا ، واذا كانت هذه الفلسفة قد سعت إلى فرض وجود نظام قانونى عالمى له فروع محلية لانهاية لها، لأن الأماكن قد تختلف تبعا لظروفها دون أن يعتبر ذلك أمرا غير معقول ، ومع ذلك تحول معقولية النظام العالمى دون تحول هذه الاختلافات إلى عقبات أو مشاحنات أو مخاصمات. وهذا التفسير هو التفسير الكلى لمبدأ «اتحاد القلوب» "Union of hearts" وهو المبدأ القائم على الانسجام العالمى الذى دعى إليه الإسكندر الأكبر وسعى إلى تحقيقه وصلى من أجله فى أبيس Opis بالإسكندرية.

مما سبق نلاحظ أن ميكيافيلى تأثر بأفكار يونانية اذ كان اليونانيون يعتقدون اعتقادا راسخا فى أن القانون يمدهم بنظام أخلاقى علاوة على قاعدة العدالة العامة. وأضاف الرواقيون إلى ذلك قاعدة وجود قانونين قانون عادى للمدينة والقانون الطبيعى للدولة العالمية ، وهو القانون الأكثر اكتمالا. ورأى ميكيافيلى دائما أن «الامير» أو الحاكم الجديد عليه ألا يغير كثيرا فى القانون المحلى لكنه يجدد كما يشاء فى نطاق القانون العالمى.

ولايجب أن نغفل الإشارة هنا إلى أن ميكيافيلى قد تأثر أيضا بكثير من الأفكار والتقاليد الكلاسيكية فى الفلسفة بعضها مستمد من أفلاطون وأرسطو، وبعضها الآخر مستمد من المدرسة الرواقية الأولى كما نجدها فى تفكير كريسيبوس ، وبعضها مستمد من أفكار أكثر انسانية عن الحياة والعلاقات الاجتماعية وجدناها عند نبائيتوس الرودس panaetius of Rhodes الذى كان يعيش فى جزيرة رودس. وكانت فلسفته تلقى قبولا واسعا عند طبقة

المثقفين وكان لهذه الأفكار ... وسياسيا كبيرا فقد صياغة المذهب الرواقي في أسلوب أسهل مما جعله مقبولا عند الطبقة الارستقراطية من الرومان الذين كانوا لايعرفون شيئا عن الفلسفة الرواقية.

وبشكل عام فإنه لم تكن هناك فلسفة يونانية أخرى لتتفوق الرواقية في اتجاهها إلى ايقاظ الفضائل الطبيعية في ضبط النفس والإخلاص للواجب والروح العامة ، وهي فضائل يحترمها الرومان ويجلونها اجلالا متميزا ويفتخرون بها كما أن نظرية الرواقيين في الدولة العالمية قد سعت إلى ادخال بعض المثل العليا والمبادىء المثالية على وسائل الاستعمار الروماني بخصائصه السيئة التى ترتبط بخصائص كل استعمار مهما كان نوعه وبشكل عام فان «المدينة العالمية» في فكر المدرسة الرواقية الذى أخذ به الإسكندر الأكبر وأعجب به ميكيافيلي في كتاباته كانت في طريقها - كما أشار ساباين وآخرون كثيرون غيره - لأن تصير بعد ذلك «مدينة الله» في التفكير المسيحي عند أوغسطين.

ومهما يكن من أمر ، فقد حدث تنقيح لأفكار المدرسة الرواقية الأولى the revision of stoicism ، والحق أن الصعوبة التى لازمت الفلسفة الرواقية كانت ترجع إلى دخول عناصر من الفلسفة الكلبية cynicism فيها وقد تشكل هذا التنقيح في أعقاب انتقادات كارنيادس لنظرية الرواقيين carneades criticism السياسية ، ويذكرنا هذا الانتقاد لما يقال الآن في انتقاد الديمقراطية ، مما يتمثل في القول «بان الانسان عندما يتناول الديمقراطية نظريا تتناولها ايجابيا ، ولكنه عندما يتناولها على أرض الواقع ، يتناولها سلبيا» وهكذا نجد الاختلاف دائما بين النظرية وبين التطبيق الفعلي والواقعي وبذلك تركز انتقاد تفكير المدرسة الرواقية في القول أن الرجل العاقل في فكر هذه المدرسة عبارة عن ... لا ... له في الطبيعة ... من الانسانية ويعمل جاهدا الاستئصال

كل شعور وعاطفة. لقد أكد كارنيادس Carneades إلى صعوبة الاعتقاد بأن هناك قانونا عالميا للعدالة نظرا للاختلاف القائم فعلا بين الايمان النظرى والأخلاق وبين التطبيق العملى لها ، ان الرواقيين كانوا أفضل من نظريتهم، وأكد كارنيادس ان الناس فى الواقع انما تحكمهم مصالحهم الذاتية وحرصهم وحكمتهم prudence ، ومن أجل ذلك كانت العدالة مجرد مظهر فخرى* .

هاجم كانيادس أفكار المدرسة الرواقية فى الدين وفى علم النفس، وفى نظرية العدل الطبيعى، وهاجم نظريتهم السياسية بصورة عامة. ولقد قام بنائتيوس الرودسى Panaetius of Rhodes كما أشرنا بعملية التنقيح modification لهذه الفلسفة وجعلها أكثر قبولا وأكثر انتشارا. وأعاد صياغة المذهب الرواقى فى أسلوبه السهل المؤثر كما أشرنا. فشرح نظرية الرواقيين فى الدولة العالمية وتحول بالرواقية لتصبح نوعا من الفلسفة الانسانية a kind of philosophy of humanitarianism.

على العموم أثر تفكير بنائتيوس وفلسفته الانسانية تأثيرا قويا على المثقفين الرومان مما خلق جبهة رواقية فى هذه الأوساط المثقفة الرومانية ذاتها. وتمثلت واتضحت هذه الفلسفة الانسانية فى التحول من مبدأ الاكتفاء الذاتى self - sufficiency إلى مبدأ أعلى أو مثل أعلى للخدمة العامة an ideal of public service والانسانية humanity والشفقة sympathy والعطف kindness(**) . وقد ارتبطت هذه الأفكار عنده بتلك التى وجدناها فى

*Justice is merely an honorific title.

** نلاحظ أن الفلسفات المعاصرة اليوم خاصة فى أعقاب عام ١٩٨٠ ومع مطلع عام ١٩٩٠ أخذت تؤكد على أهمية العودة إلى مبدأ الاكتفاء الذاتى self- sufficient وهو المبدأ الذى ارتبط بالدعوة إلى الحفظ وأهمية المشروع الخاص كما بدأت هذه الفلسفة السياسية المعاصرة تتحول بعيدا عن المثل الأعلى المرتبط بالخدمة العامة والانسانية والعطف. أو بتعبير أدق التحقق نسبيا من هذا المبدأ وهذا يرتبط ولاشك بالاتجاه إلى الغاء مبدأ الرفاهية. welfarestate

مرحلة متأخرة فى الفلسفة السياسية الإنجليزية فى القرن التاسع عشر متمثلة فى «سياسة المستويات الدنيا القومية» the policy of national mintmum عند سيدنى ويب فى انجلترا. وهى السياسة التى ارتبطت بفكرة البراعة المتساوية لدى جميع الأفراد (الذين يفكرون بايديهم وبعقولهم) واعتقد أنها أفكار تجد جذورها فى الفكر الرواقى أيضا ، فالعقل قانون جميع الناس - (أكثر الأشياء قسمة بين الناس كما قال ديكارت) - وليس للعقلاء فقط ، اذ هناك نقطة يتساوى فيها جميع الناس رغم الاختلاف الذى لايمكن تفاديه فى المنزله والمواهب الفطرية والثروه، ويجب على الأقل أن يحصل الناس جميعا على الحد الأدنى من الحقوق، وهو الحد الذى بدونه يفقد الانسان كرامته. وتتطلب العدالة أن يعترف القانون بهذه الحقوق ، ويوفر للناس ضمان التمتع بها.

إذن الخطأ أن توجد دولة لاتمارس قواعد العدالة ولكن هذه الدولة اذا وجدت فإنها تفقد ذلك الأساس من الانسجام الذى بدونه لاتسمى دولة. ونظرية الدولة هذه وجدناها فى الفكر الرواقى عند بناتيوس أوف رودس (الرودسى) الذى نقح الأفكار الرواقية الأولى ، ووجدناها عند الرواقيين الرومان من أبناء الطبقة الحاكمة والطبقة المثقفة ، ثم وجدناها فى معالجات وكتابات شيشرون cicero السياسية فى مرحلة أعقبت ظهور المدرسة الرواقية الأولى ومرحلة التنقيح ، ثم وجدناها فى الفلسفة السياسية الانجليزية المعاصرة عند سيدنى ويب وزوجته بياترس ويب وعند اتباع فلاسفة الجمعية الفابيه الانجليزية فى مرحلة متأخرة بعد ذلك بعد ظهور الفكر الماركسى فى المجتمع الانجليزى. واتجاه المجتمع الانجليزى والفكر السياسى الانجليزى إلى تطويقه ومحاصرته باعتباره فكرا تحريضيا.

ويشرح النص الآتى فلسفة بناتيوس panaetius الانسانية الرواقية بعد

التنقيح للمرحلة الأولى : حيث يقول : «ان وحدة الجنس البشرى ، ومساواة الناس ، ومن ثم العدالة فى الدولة ، وتساوى قيم الرجال والنساء ، واحترام حقوق الزوجات والأطفال ، وعمل الخير ، والحب ، وطهارة الأسرة ، والتسامح ، والاحسان إلى الآخرين ، والشعور بالانسانية فى كل الأحوال حتى فى حالة الضرورة القاسية التى تقتضى بمعاقبة المجرم بالإعدام - كل هذه الأشياء هى الأفكار الأساسية التى تملأ كتب الرواقيين المتأخرين»(1).

"The unity of the human race, the equality of man and therefore justice in the state, the equal worth of men and women, respect for the right of wives and children, benevolence, love, purity in the family, tolerance and charity toward our fellows, humanity in all cases, even in the terrible necessity of punishing criminals with death - these are the fundamental ideas which fill the books of the later stoics".

ومما يجدر الإشارة اليه هو أن ميكيافيلى تأثر بهذه الأفكار ولكن فى شكلها المظهرى فقط دون الاطار العملى لها أو التطبيقى فى كل الظروف.

---

(1) See : Jacques Denis, histoire des théories et des idées morals dans L'antiquité (1856), vol. II, pp. 191 ff, quoted by janet, histoire de la science politi que (1913), vol. I, p. 249 . also see : Margaret E. Reesor, "The political theory of the old and middle stoa, new york, 1951. See also : George H. sabine, a history of political theory, fourth edition, dryden press, 1973 by the dryden press Part two, the theory of the universal community, ch: g (the law of nature), p. 152.

ويجب أن نشير إلى ان هذه الأفكار كانت موجودة ومنتشرة فى مطلع نهاية القرن الثانى عشر وكانت نقطة الاتصال بين الرواقين والرومان فى هذه الفترة عن طريق اثنين من اليونانيين هما بنانتيوس اوف رودس وبوليبوس polybius وكثير من مثقفى الرومان الذين التفوا حول سيبوا ميليانس -Scipio aemilia nus. وقد كان بوليبوس polypius مهتما بالدراسات الخاصة بالتاريخ الرومانى والمؤسسات السياسية الرومانية. وكان مهتما بدراسة «الوسائل ونوع الدستور الذى بفـ لمه تمكن الرومان من اخضاع العالم فى أقل من ثلاث وخمسين سنة» حيث أن الرومان قد سيطروا على مناطق واسعة فى كل الدنيا. وأشار بوليبوس فى كتاباته إلى أفكار تأثر بها ميكيافيلى بالطبع. نذكر منها إشارته إلى أنه فى التاريخ نلحظ قانونا للنمو والأضمحلال لامفر منه.

an inevitable law of growth and decay

حيث أكدت له دراسة التاريخ اتجاه الحكومات ذات اللون الواحد إلى الفساد بأساليب معينة حيث تنقلب الملكية إلى مستبده عاتيه وتنقلب الارستقراطية إلى أقلية أو ليجاركية وهكذا. وأشار أيضا إلى التقسيم السداسى القديم للدستور كما أتى به أفلاطون فى كتابه بعنوان «رجل الدولة» statesman وماذكره أرسطو فى كتابه بعنوان «السياسة» politics وأضاف بوليبوس إلى ذلك نظرية فى الدوره theory of the cycle تلك النظرية التى تؤدى إلى شكل معين ثم تتحول إلى شكل آخر. وعلل بوليبيوس قوة روما بأنها اتخذت لنفسها عن غير قصد نوعا من الدستور المختلط a mixed constitution حيث كانت عناصر هذا الدستور مرتبه فى دقة وتوازن تام -accurately adjusted and in ex act equilbrium حيث يتمثل فى القنصل the consuls العنصر الملكي الموجود فى روما ويتمثل فى السناتو the senate ذلك العنصر

الارستقراطي، ويتمثل في الجمعيات الشعبية the popular assemblies العنصر الديمقراطي، ويكمن السر الحقيقي في تلك الحكومة الرومانية في أن هذه القوى الثلاث كانت تراقب بعضها - طبقا لمبدأ القوة تراقبها القوة - أو (السلطة تراقبها السلطة) مما أدى أحيانا إلى التفكك والاضمحلال لو أن احدى هذه القوي طغت على القوى الأخرى. وبشكل عام أشار بوليبيوس polybius إلى النظرية القديمة للحكومة المختلطة التي استمرت فترة طويلة ، وتمسك بالقول بأن الحكومات غير المختلطة تنتهي إلى الفساد وهذا يشكل قانونا تاريخيا أكيدا. وتمسك بالقول بأن الحكومة المختلطة ليست نتيجة توازن قوى سياسية كما يذهب أرسطو بل توازن طبقات اجتماعية. كما أنه سعى إلى تأكيد أهمية (مبدأ الزمالة الروماني).

the Roman legal principle of collegiality

الذى يمنح كل حاكم حق الاعتراض لوقف أي عمل صادر من زميل ساد أو من سلطة أدنى وبذلك أضفي بوليبيوس polybius على الحكومات المختلطة نوعا من نظام الفصل بين السلطات ونظام المراجعة والتوازن والتوازن a system of checks and balances. مما وجدناه بعد ذلك في فكر مونتسكيو Montesquieu في فرنسا وفي فكر جون لوك john lock في انجلترا، وعند واضعي الدستور الأمريكي ممن تأثروا بافكار لوك.

ولاشك أننا نكون غير صادقين اذا لم نأكد أن الدولة العالمية الرواقية قد تحولت في نهاية الأمر إلى نوع من الاستعمار العاطفي جعل الفاتحين يتصورون أنهم أخذوا على عاتقهم القيام بمهام انسانية لكنها في حقيقة الأمر ليست مهام انسانية بالمرة بل أضرت بالانسانية والمبادىء الانسانية كلها التي ارتبطت باحترام

الطفل والزوجة والشيخ والرجل والكرامة الانسانية وتمسكت بالتسامح والعطف والمحبة والأخوة بين البشر فعملت ضد كل هذه المبادىء كلها واعتدت عليها ايما اعتداء. فقد تصوروا أنهم كانوا يجلبون نعمة السلام والأمن إلى عالم تنقصه الكفاءة السياسية لكنهم قضوا على نعمة السلام والأمن لأنهم اضطروا إلى استخدام أخلاق أخرى لتحقيق الكفاءة السياسية التى ابتدعوها*. وقد تأثر ميكيافيلى بكل هذه الأمور. خاصة فيما يتعلق بمسألة تمجيد الفتح لأغراض انسانية وتحويله إلى مثل أعلى مما حتم الاهتمام بالمسائل العسكرية.

وبصورة عامة تأثر ميكيافيلى بأفكار الفلسفة السياسية الرواقية stoi-cism وبعض الأفكار الابيقوريه والأفكار التى ركزت على الأنانيه الضروريه والتركيز على المصلحة الشخصية أو الذاتية واننى أعتقد بأنه قد تأثر بشكل خاص بفلسفة كل من سيسشرون وسينكا. والأفكار التى أشادت بالجانب الحيوانى فى الانسانى على حساب الجانب الروحى . كذلك تأثر بالأفكار التى أيدت الدستور المختلط والتى أبرزت محاسن هذا الدستور، كما استفاد من شروحات «القانون الطبيعى» nature law وشروحات القانون الشعبى والشروحات المؤكدة لأهمية القانون law بصورة عامة. كذلك استفاد من الفلسفات السياسية التى ارتبطت بالدين المسيحى والفلسفات المسيحية رغم كراهيته له ولها خاصة كما ابانت عنها كتابات القديس توما الاكوينى أو القديس أوغسطين والتعليقات على كتاب أوغسطين «مدينة الله» والاختلافات بين «مدينة الأرض» و «مدينة السماء» وأخذ من الأفكار التى ارتبطت بالمناقشات حول «قانون الشعوب» أو «القانون المشترك بين كل الشعوب» Ius gentium

---

* يذكرنا هذا بالمهام الانسانية التى تقوم بها الأمم المتحدة الآن فى مناطق الصراع والنزاع والحروب حيث ينتهى الأمر إلى القيام بأعمال لا انسانية بالمرة، سواء فى العراق أو فى الصومال أو فى الجنوب اللبنانى أو فى يوغسلافيا بعد موت تيتو وقيام الصراعات العرقية هناك

والمناقشات حول «القانون الطبيعي» Ius naturale كما أنه استفاد ولاشك من المثل العليا الرومانية القديمة التى امتزجت بالثقافة المستمدة من الفن والأدب والانسانيات philosophy of humanitarianism التي دخلت فى هذه الثقافة التى نستطيع أن نقول أنها كانت بمثابة ثقافة عالمية. والأكثر من هذا وذاك تأثره بالأفكار الرواقية التى دارت حول فكرة الدولة العالمية the stoic world state والأخوة العالمية الواسعة النطاق[1] a world wide human brotherhood والتى تقوم أساسا على فكرة العدل justice والمساواة والأفكار المرتبطة «بوحدة القلوب» "union of heart" مما اعتنقه الاسكندر الأكبر بصورة ما. والأفكار المرتبطة بقانون التاريخ مما يرتبط بدورة الحياة بالنسبة للدولة.

مما يرتبط بنمو الدولة وقوتها ثم بانحطاطها وتدهورها وفسادها كما ذهب بوليبيوس polybius الرواقى، ولذلك وجدنا ميكيافيلى يتكلم كثيرا عن الحظ[2] وعن الظروف وعن مقتضيات الزمن. وضرورة مراعاة هذه الظروف والتمشى مع روح العصر ومقتضيات الزمن كأساس لنجاح الحاكم.

كذلك تأثر ميكيافيلى بالأفكار الكنيسة الأولى التى أعطت للحاكم حقا مقدسا وجعلت منه منفذا لارادة الله على الأرض.

وقد طبق ميكيافيلى مبدأ الاكتفاء الذاتى self - sufficiency على الحاكم نفسه فأراد له أن يكون قويا لايعتمد على غيره مستعدا دائما لكل

(1) See : Ludwig Edelstein, the Meaning of stoicism, Cambridge, Mars, 1966, ch: 2, pp. 42-43.

(2) See: T. Flanagasn, "The concept of Fortuna in Machiavelli", in the Political Calculus, A. Parel (Toronto, 1972), pp 127-156

الظروف معتمدا على التدريب الشديد للارادة ، متمسكا بفضائل العزيمة والصبر والإخلاص للواجب وعدم الاكتراث بالملذات.

كما أنه طبق أيضا التفكير الرواقى المتطور بعد تنقيحه فتمسك أيضا بأن يكون الحاكم مؤمنا بوحدة الطبيعة وكمالها وموقنا بالقدر وبوجود آله مدبر للكون. ولعل تأثره بفكرة وحدة الطبيعة هو ماجعله يرى أن الحاكم عليه أن يستعمل أحيانا الخصائص الطبيعية للانسان كما أنه عليه فى بعض المناسبات أن يضطر إلى أن يستخدم الخصائص الطبيعية للحيوان. لقد رأت الرواقية ان الانسان له قانونان دائما ، قانون مدينته وقانون الدولة العالمية ، ولعل هذه الفكرة كان لها وضعها الكبير فى تفكير ميكيافيلى. كما أنه لعله قد تأثر إلى درجة كبيرة بما ذهب إليه الرواقيون فى حديثهم عن «العقل المنزه عن الخطأ» Right reason باعتباره قانون الطبيعة. مما أبرزه وأكده شيشرون من جديد فيما بعد كما ورد فى كتابه «الجمهورية». وباعتباره معيار كل ماهو حق وكل ماهو باطل كل ماهو صواب وكل ماهو خطأ.

وكما تأثر ميكيافيلى بالفلسفة الرواقية التى نشرت مبادىء الدولة العالمية والعدالة الطبيعية وصفة المواطن العالمية وتأثر أيضا بفلسفة الابيقوريون Epi-cureans والشكاك the skeptics وقد اتسمت الفلسفة الابيقورية بالسمة الانسحابية والسلبية كما أن تفكيرهم قد ارتبط بتفسير الطبيعة فى اطار المصلحة الفردية الذاتية [1] الانانية self - interest ولاشك أن الفلسفات المتباينة قد تداخلت مع بعضها فى مرحلة متأخرة كما أن المدارس الفلسفية أخذت

(1) See : Stoic and Epicurean, By : R. D. Hicks, London, 1911, ch 3,4 also see : Johnny christensen, An Essay on the unity of sto philosophy, copenhagen, 1962 and see : ludwig Edelstein "t meaning of stoicism, cambridge, mass, 1966, ch: 2.

ى الاقتراض من بعضها الأفكار والنظريات. ولاشك أن ميكيافيلى قد وجد هذا التيار وتأثر به أيضا.

لقد ارتبطت الثقافة العالمية فى هذه الفترة بأفكار ترتبط بالاعتقاد بأن العالم يخضع إلى حكم مقدس من جانب الإله الذى يتسم بالمعقولية والحسن والنظام وتدعو إلى بعض قواعد الأخلاق والعدالة والحكمة فى التصرف كأمور لازمة لكل انسان ، كما تدعو إلى ضرورة احترام قوانين الله، وترى ان الانسان لديه موهبة خاصة كامنة فى طبيعة البشرية لطاعة هذه القوانين وان الانسان عندما يلتزم باحترام هذه القدسية الطبيعية يؤكد حقيقة طبيعته الخيرة أيضا ، فى حين يقلل من قدر ذاته اذا اتجه إلى الطريق المخالف.

وبشكل عام جنحت الفلسفة السياسية ، كما كشفت عنها أحداث التاريخ قبل ظهور ميكيافيلى بأكثر من ثلاث قرون من الزمان إلى اتجاهان أساسيان ، الأول كان اتجاها قانونيا والثانى كان اتجاها دينيا.

وقد تأثر ميكيافيلى بهذان الاتجاهان معا. وتندرج أفكار شيشرون إلى الاتجاه الأول (القانونى) وتنتمى أفكار سينكا إلى الاتجاه الثانى (الدينى). وعلى ذلك تأثر ميكيافيلى بالاتجاه القانونى والاتجاه الدينى معا.

كتب شيشرون «الجمهورية» وكتب «القوانين» وكانت كتاباته هذه بمثابة (أفضل الفهارس) التى سجلت الفكر السياسى فى روما. وخاصة فى نطاق الدوائر الحاكمة والارستقراطية خلال أيام الجمهورية الأخيرة أى قبل ظهور ميكيافيلى بعدة قرون. ومهما يكن من أمر هذه الكتابات فقد عالجت مسائل مألوفة واهتمت بتمجيد الفضائل الرومانية التقليدية المرتبطة بالخدمة العامة ومركز رجال الدولة الممتاز ومستقبلهم ومهامهم وتنوير القائمين بهذه المهام

وتوسيع افاقهم وذلك من خلال أفكار ارتبطت فى المحل الأول بالفلسفة الاغريقية.

وشرحت كتابات شيشرون Cicero التطور التاريخى الدورى للدساتير وأكدت أهمية نظام الدستور المختلط a mixed constitution وسعت إلى البحث عن الشكل الأكثر استقرارا والأكثر كمالا من أشكال الحكومة ، بالاعتماد على الاستقراء التاريخى والخبرة التاريخية. وهذا ماسعى إليه ميكيافيلى أيضا على ماهو واضح لنا.

كذلك أشار شيشرون إلى نظرية دورة التاريخ the theory of the cy-cle ورأى أن دستور روما هو أكمل الدساتير وأكثرها استقرارا. وكان بالطبع يقصد الدستور المختلط الذى ذهب كثير من فلاسفة السياسة ورجال التاريخ فى ذلك الوقت إلى ان الاشادة بالدستور المختلط أيسر منالا من تحقيقه. وبشكل عام أصاغ شيشرون نظرية الرواقين فى القانون الطبيعى صياغة جديده أثرت تأثيرا كبيرا فى رجال القانون وفى اباء الكنيسة بعد ذلك.

وذهب شيشرون إلى أنه : يوجد قانون طبيعى عام ينبثق من واقع حكم العناية الالهية للعالم كله، كما أنه ينبثق من الطبيعة العقلية والاجتماعية للبشر. فالقانون الطبيعى موجود فى عقل الله وهو أيضا قائم فى عقول البشر.

وقد شرح شيشرون «القانون الطبيعى» فى كتاب له بعنوان «الجمهورية» وهو الكتاب الذى فقدت نسخته الأصلية بعد القرن الثانى عشر ولم تسترد الا فى القرن التاسع عشر – حيث نجده يشرح قائلا :

«هنالك فى الواقع قانون حق هو قانون البداهة والتفكير السليم، وهو قانون يماشى الطبيعة وينطبق على كل الناس، وهو قانون خالد لايتغير ، ينبغى للناس، بمقتضى أحكامه ، أن يؤدوا ماعليهم من التزامات بما فيه من أحكام ناهية، كما يحد من جنوح الناس إلى ارتكاب ماهو خطأ ، وتؤثر أوامر هذا القانون ونواهيه فى خيار الناس دون شرارهم*. وهذا القانون الطبيعي هو مما لايجوز خلقيا تعطيل أحكامه بتشريعات من صنع البشر ، كما لايجوز الحد من نطاق تطبيقه أو إلغاء نفاذ أحكامه، بل ولايستطيع مجلس الشيوخ ولا الشعب أن يحملونا على التنحى عن واجبنا فى إطاعة هذا القانون. وهذا القانون من البساطة بحيث لا يحتاج إلى فقه الفقهاء لتوضيحه وتفسيره ، وهذا القانون الطبيعى لايمكن أن يفرض حكما على روما وآخر على أثينا، ولايمكن أن يجد حكما لليوم وآخر للغد، إذ ليس هناك إلا قانون واحد خالد لايتبدل ، ملزم لكل الناس فى كل وقت، ولن يكون للناس أبدا إلا سيد وحاكم واحد هو الله مشرع هذا القانون ومفسره وراعيه، والذى يعص من الناس حكم هذا القانون فاقد حتما خير ما فى نفسه بانكار خير ما هو كائن فى الانسان من الطبيعة الحقة وهو بذلك خليق بأن يقاسى شر العقوبات ولو نأى بنفسه عن عواقب مخالفة التشريعات الوضعية» (١).

"There is in fact a true law- namely, right reason - wgich is in accordance with nature, applies to all men,

---

(1) Republic, III, 22. trans. by. George H. Sabine and smith. see also : Cicero on the commonweath, ed. by G. sabine and smith (1929), infroduction p. 36 and also see : Georg H. sabine and thomas L. thorson : "A History of political theory", fonrth edition, revised by thomas landon thorson (Indiana university south bend), dryden press, Hinsdale, llinois, copyright 1973, ch: 10 Cicero and the ro man lawyers, p. 161.

and is uncangeable and eternal. By its commands this law summons men to the performance of their duties, by its prohibitions it restrains them from doing wrong. its commands and prohibitions always influence good men, but are without effect upon the bad*. to invalidate this law by human legislation in never morally right, nor is it permissible ever to restrict its operation, and to annul it wholly is impossible. Neither the senate nor the people can absolve us from our obligation to obey this law, and it requires no sextus Aelius to expound and interpert it. it will not lay down one rule at Rome and another at Athens, nor will it be one rule today and another tomorrow.

But there will be one law, eternal and unchangable, binding at all times upon all peoples; and there will be, as it were, one common master and ruler of men, namely god, who is the author of this law, its interpreter, and its sponsor. the man who will not obey it will abandon his better self, and, in denying the true nature of a man,

---

* لعل هذه الفكرة هي ماحتمت على ميكيافيلي أنه يلجأ إلى الشر أحيانا وإلى الخديعة وإلى القتل من أجل أن يحقق الخير للحاكم وللدولة أيضا.

will thereby suffer the severest of penalties, though he has escaped all the other consequences which man call punishment".

وهكذا أنتهى شيشرون إلى القول بأن الناس سواسية فى نطاق تفسير هذا القانون وهذا يذكرنا بما أشار إليه ديكارت عندما قال بان «العقل أكثر الأشياء قسمة بين الناس» كذلك أكد شيشرون خصوصية المساواة وأهمية المساواة وتمسك بالتأكيد على هذه الفكرة وأشار إلى ماهية الأفكار التى أكدها روبرت اوين فى انجلترا عندما كتب مقالاته الأخلاقية ولكن شيشرون جعل أسباب الاختلاف فى المساواة بين الأفراد راجعة إلى البيئة والظروف والتعلم تماما كما ذهب روبرن اوين فى مقالاته الأخلاقية «مقالات فى تكوين الأخلاق» وعندما شرح وجهة نظر جديدة فى المجتمع بالاعتماد على «وجهة نظر جديدة فى الطبيعة البشرية».

وهكذا أكد شيشرون Cicero فى كتابه «القوانين» أنه «لو لم تكن العادات السيئة والمعتقدات الزائفة قد انحرفت بالعقول الضعيفة فسارت بها على غير هدى إلى أية اتجاهات أرادها لها الهوى لما تسنى لأحد منا أن ينفرد بذاتية خاصة، ولكان كل الناس متشابهين».

"...Nay , if bad habits and false beliefs did not twist the weaker minds and turn them in whatere direction they are inclined, no one would be so like his own self as all men would be like all others".

وهكذا نلاحظ أن شيشرون بهذه الأفكار قد عالج موضوع الطبيعة البشرية والظروف المؤثرة فيها وانتهى إلى القول بأن هناك قانون واحد يحكم هذه الطبيعة

لكن هذا القانون قد يتغير أو ينحرف نتيجة لانحرافات الظروف أو البيئه أو الحياة أو التجربة الانسانية أو الأسرة أو التعليم ، ولولا هذه الانحرافات لاحتفظت الطبيعة البشرية بقانون واحد هو «قانون الطبيعة». ومما لاشك فيه أن هذه الأفكار قد أثرت في تفكير ميكيافيلي فعالج موضوع الطبيعة البشرية والجوانب النفسية الخاصة بهذه الطبيعة بالاعتماد على كلا الجانبين ، الجانب الحيواني والجانب الإنساني كما أشرت فيما سبق حتى يضمن الحلول الضرورية والمناهج اللازمة «للامير» لكي يتصرف مع جانبي الطبيعة الخيرة الشريره بطريقة مكتملة وواقعية فهو يتمسك بأهمية جوانب الخير وفي الوقت نفسه يتمسك بأهمية الحاجة أحيانا إلى الاعتماد على الشر كوسيلة لغايه تهدف إلى الخير في نهاية الأمر ، ولعله خير الحاكم وخير الدولة وخير الرعية.لقد عارض سيشرون الابيقوريون Epicureans والشكاكين skeptics في دعواهم بأن العدالة هي الخير الذاتي فالدولة يجب أن تقوم على روابط خلقية ومعنوية وكما قال القديس أوغسطين اذا لم تتوفر هذه الروابط بين الحاكم والمحكوم لن تكون الدولة سوى عصابة مسلحة من قطاع الطرق لسلب الناس أموالهم على أكبر نطاق ممكن.

ولقد رأي سيشرون أن «قانون الطبيعة» أو مايمكن أن نسميه «القانون الخلقى» The moral law ليس من شأنه أن يجعل اللاخلقية immorality مستحيلة ، ومادام الأمر كذلك فقد رأى ميكيافيلي انه لابد من التحيط لها. وهذا يحتم على الأمير أن يلجأ إلى أقسى الامكانيات الدرامية وأن يكون أحيانا ثعلبا ماكرا وأن يكون في أحيان أخرى أسدا كاسرا.

اذن تأثر ميكيافيلي بأفكار شيشرون ، ذهب شيشرون إلى أن الدولة res publica عباره عن «مصلحة الناس المشتركة» "the affair of the people" بما يساوى في الفكر الانجليزى «الكومنولث» أو «الثروة المشتركة» "Common wealth" والمهم هو الاحتفاظ بكيانها

واستمرارها فى البقاء Salus populi supremalex esto

واستخدام القوة سياسيا الاستخدام السليم القانونى هو فى حقيقة أمره استخدام لقوة الناس مجتمعين والموظف العام الذى يمارس هذا الاستخدام انما يعتمد فى ذلك على ما لديه من السلطة بحكم وظيفته وسنده فى ذلك القانون باعتباره هو نفسه صنيعة هذا القانون. والقانون يحكم الموظفين والموظفون يحكمون الناس والموظف ليس إلا قانونا ناطقا والقانون ليس إلا موظفا صامتا، والدولة تخضع دائما لقانون الله، والدولة نفسها وقانونها أيضا دائما هما خاضعان لقانون الله the law of God. وقانون الله هو القانون الأخلاقى moral law القانون الطبيعى natural law وهو القانون الأعلى للحق وهو الذى يعلو على التصرفات البشرية ويعلو على المنظمات الدنيويه [١] ، وهكذا ينتهى شيشرون إلى القول بأن استعمال القوة ليس إلا أمرا عارضا فى طبيعة الدولة ويمكن تسويغه فقط تحت وطأة شدة الحاجة إليه لتنفيذ مبادىء العدالة والحق.

the principles of justice and right.

ومما لاشك فيه أن ميكيافيلى قد تأثر بهذه الأفكار بل أن فلسفته السياسة تردد نفس الأفكار بالتأكيد، خاصة بعد أن اكتنزت الخبرة السياسية لديه من الواقع الفعلى وممارساته السياسية بضرورة الاعتماد على الحيلة والقوة والغدر أو الخديعة فى مناسبات كثيرة يجد الحاكم نفسه أمام مواقف لامفر من مواجهتها إلا بالاعتماد على هذا الأسلوب. خاصة فى الأوقات التى يتفشى فيها الفساد وتنتشر الفوضى. وقد كانت هذه الأفكار من بديهيات الفلسفة السياسية خلال قرون عده بعد ظهور تفكير شيشرون . مما أكده ميكيافيلى من جديد فى فلسفة السياسة.

(1) Laws, III, I, 2. also see : T.A. Dorey, Cicero, New York, 1965.

وفى اعتقادى أن ميكيافيلى قد تأثر كثيرا بما ذهب إليه شيشرون عندما أكد مقولته الشهيرة «نحن خدام القانون حتى نتمكن من أن نكون أحراراً»[1]

"We are servants of the law in order that we may be free".

وقد نبه شيشرون إلى أن الخضوع لحكم القانون لايتعارض مع الحرية المعنوية والكرامة الانسانية فى حين أن الخضوع لسيد مهما كان حنوه وترفقه ممقوت ومهين. ومما لاشك فيه أن فكرة «القانون» الرومانية هذه سارت فى نطاق نظام قانونى صاعد فى وقت كانت سلطة الأباطرة والحكام الشخصية فيه مطلقة لاتحدها حدود. ولعل هذه الأمور الواقعية الخاصة بهؤلاء الحكام والأباطرة قد أثرت بدورها فى تفكير ميكيافيلى بجانب المؤثرات التى وجدها عند شيشرون.

ومما لاشك فيه أن ميكيافيلى قد تأثر بأفكار سينيكا وأفكار اباء الكنيسة فى بعض جوانبها برغم كراهيته لهم، كما أنه قد تحير بين أفكار شيشرون ومن قبله أفلاطون حيث ذهبا إلى أن الحياة التى تبذل فى الخدمة العامة فى ميدان السياسة هى التاج الأسمى الذى يزين رأس الخير الانسانى ، فى حين ذهب سينيكا إلى أبعد حدود التشاؤم - الذى كان يعمل وزيرا لنيرون والذى رأي أن روما قد سقطت فى أحضان الشيخوخة وانتشر فيها الفساد، حتى أصبح الحكم المطلق فيها أمرا حتميا وضروريا - فقد غلبه التشاؤم واليأس فى كل مايتصل بالمسائل السياسية والاجتماعية وقد قرأ كل مافاض به الأدب اللاتينى فى القرن الثانى المسيحى.

لقد وجد سينيكا على خلاف أفلاطون وشيشرون أن الأمر قد ساء إلى حد كبير بحيث لم يعد معه الأمر متعلقا بالتساؤل عن ضرورة قيام الحكم المطلق، بل السعى إلى ضرورة تأكيده

(1) Pro Cluentio , 53, 146.

كيف تحكم الدول (والامارات) وكيف يمكن الابقاء عليها والاحتفاظ بها

How principalities can be governed and maintained

* about observing men's actions and their different methods and on the reasons for human success and failure

حول ملاحظة أعمال الرجال (الناس) ومناهجهم المختلفة وفى أسباب النجاح الانسانى والفشل

** what a principality is, how many different types they are, how they are gained, how they are held, and why they are lost

ماهي الإمارات (الدول) . وما أنواعها المختلفة . كيف يمكن الحصول عليها والقبض أو الابقاء عليها . ولماذا يفقدها الحاكم

وقد وردت هذه الأفكار فى «الأمير» وفى «الامارات»

"The Prince" and "De principatbus"

انواع الحكومات المختلفة :

لقد ذهب ميكيافيلى إلى أن «جميع الحكومات والممالك التى حكمت الجنس البشرى فى الماضى أو التى تتولى الحكم الآن لاتخرج عن أن تكون شكلين : اما الشكل الجمهورى أو الشكل الملكى» والملكيات أما ان تكون وراثية ، بحيث ينتقل الحكم فيها عبر السنوات الطويلة ، ضمن أفراد الأسرة الواحدة ، أو حديثة العهد أو الانشاء. وعنده فان الملكيات الناشئة حديثا أما أن تكون جديدة فى كل شيء ، كما هى الحالة فى ميلان التى نصبت فرانسيسكو اسفورزا حاكما عليها ، أو تكون ملحقات جديدة ، اتبعت بممتلكات الحاكم أو الأمير الوراثى الذى ضمها إلى ممتلكاته ، كما هى الحالة فى مملكة نابولى التى حكمها فرديناند ملك أسبانيا ، ومثل هذه الممتلكات المكتسبة قد تكون معتادة على هذا النوع من الحكم ، لأنها كانت خاضعة لأمير آخر ، أو أنها كانت دولا حرة لكنها انضمت لممتلكات الأمير عن طريق القوة العسكرية الخاصة بالحاكم ، أو قوة الآخرين أو عن طريق انتقالها اليه نتيجة الحظ أو حسن الطالع أو الكفاءة والمقدرة»(١)

"All the states, all the dominions that have held sway over men, have been either republics or principalities principalities are either hereditany (Their rulers having been for a long time from the same family) or they are new. the new ones are either completely new (as was

(1) See : CAMBRIDGE TEXTS in the history of political thought, machiaveli, the prince, Edited by: Quentin Skinner, professor of political science in the university of cambridge and fellow of christ's college and russell price, senior lecturer in politics, university of lancas ter , cambridge university press, cambridge, new york, melbourne, sydney, published by the press syndicate of the university of cambridge, 1988. ch: I (the diffrent kind of principality and how they are acquired, pp. 5-6.

milan to francesco sforza)* or they are like limbs joined to the nereditary state of the ruler who annexes them (as is the kingdom of naples to the king of spain)** states thus acquired are either used to living under a prince or used to being free. and they are acquired either with the arms of others or with one's own, either through luck or favour or else through ability***.

هذا وقد ذهب مكيافيلى فى حديثه عن نظم الحكم الملكية والدول الملكية أو مايعرف بالملكيات الوراثية Hereditary principalities إلى أن «مهمة الاحتفاظ بالملكيات الوراثية ، حيث تعود الناس على أسره حاكمه ، تكون أقل صعوبة من الاحتفاظ بالملكيات الجديدة ، اذ يكفى فى هذا أن لايضطر الحاكم إلى الاعتداء على المألوفات الوراثية ، أي أن لايقوم الحاكم بتغيير النظام المشيد ، وأن يكيف نفسه لكى يتعامل مع الظروف التى لم يكن يتوقعها والتى من الممكن أن تحدث ، واذا كان مثل هذا الحاكم أو الأمير مجتهدا ومثابرا على العمل diligent واذا كان مقتدرا competent فان حكومته سوف تكون فى أمان دائما مالم تأتي قوة غير عادية لكى تبعده وتقصيه وحتى اذا حدث هذا فان الغازى عندما يتعرض للصعوبات فان الحاكم الأصلى يمكنه أن يرجع إلى حكمه والى دولته».

---

* الذى أصبح دوق ميلان فى عام ١٤٥٠ بعد أن رضاق لجمهورية امبروسيان ، التى ظهرت بعد موت فيليبو ماريا فسكونتى Filippo maria visconti عام ١٤٤٧.

** الملك فرديناند الكاثوليكى Ferdinand the cutholic...

***يخلط أحيانا مكيافيلى بين الفكرتين «الحظ» Fortuna و«الفضيلة» Virtu حيث نجد هذا الخلط واضح جدا فى كتابات مكيافيلى.

"I say, then, that states which are herditary, and accustomed to the rule of those belonging to the present ruler's family, are very much less difficult to hold than new states, because it is sufficient not to change the established order, and to deal with any untoward events that may occur ; so that, if such a ruler is no more than ordinarly diligent and competent, his gorernment will always be secure, unless some unusually strong force should remove him. and even if that happens, whenever the conquer or encounters difficulties, the former ruler can re-establish himself."[1]

ويشير ميكيافيلى إلى أنه «من الطبيعى أن الأمير صاحب الحق الشرعى ، لايشكل وجوده أمرا استفزازيا لأن حب الشعب له يكون كبيرا خاصة اذا كان لم يقترن من الرذائل مايزيد عن المعقول فيحمل الناس على كراهيته ، والمنطق فى هذه الحالة يجعل من شعبه محبا له شديد التعلق به، مما يجعلهم يكرهون التجديد» اذ لاشك ان التبدل فى الحكم ، يترك الطريق ممهدا دائما، لوقوع تبديل آخر.

---

(1) See : Cambridge Iexts in the History of Political thought, machiavelli, the prince, edtied by quentin skinner professor of political science in the university of cambridge and fellow of christ's college and russell price, senior lecturer in politics university of lancqastes, Cambridge university press, Cambridge, new york, port ch estee, melbourne, sydney, frist published 1988, chapter II (Hereditary principalities), p. 6.

"For any change always leaves a toothing - stone for further building"

ماذا يفعل الحاكم لكى يحصل على السمعة الطيبة :

وماهى القوانين العامة التى يجب أن يدركها ويعيها لكى تحقق النجاح .

لقد ذهب ميكافيلى الى انه لا يمكن للحاكم أن تحقيق مكانة أكبر more prestige سوى الاضطلاع بالحملات الكبيرة وممارسة الأفعال غير العادية. وكما فعل فرديناند حاكم الأرجوان Ferdinand of aragon ملك أسبانيا فى أيام ميكيافيلى فهو يعتبر المثال الذى يجب أن يحتذى فى تقدير ميكيافيلى حيث أصبح هذا الملك «الجديد» وتحول منه ملك خطيف a weak king إلى أن أصبح أكثر الملوك المسيحيين شهرة ومجدا. ولقد كانت انجازاته ملحوظة وغير عادية.

فلقد هاجم هذا الملك جراندا (غرنطة) Granda فى بداية توليه الحكم عندما كان حاكما وملكا لأراجون وقبل أن يكون ملكا لكاستيل Castile عام ١٤٧٩ ولقد أرست هذه الحملة الأسس الخاصة بدولته. وقبل كل شيء ، فقد بدأ هذه الحملة عندما كانت الأمور هادئة ولم يكن خائفا منه أن يعترضه أحد. وقد جعل عقول بارونات (نبلاء) كاستيل (قشتاله) the barons of castile مشغوله بالحرب مما جعلهم لايفكرونه فى القيام بثوره . ولقد حقق فرديناند المكانة Prestigc وازاء قبضته على شعبه وعلى بارونات كاستيل قبل ان يدركوا حقيقة رغبة. وكان قادرا على الابقاء على أسلحته وجيوشه مستخدما الأموال من الكنيسة ، ومن رعاياه ، وفى أثناء هذه الحرب الطويلة كان قادرا على أنه يطور جيشا قويا مما جعل انجازاته ونجاحاته تعطى له وتضيف اليه شرفا وعظمة أكبر. ولكى يواصل ويضطلع بالقيام بحملات أكبر greater campaigns فقد استمر فى استخدام العقيدة والدين religion معتمدا على سياسة قاسية ظاهريا

التقوى والورع معتمدا على القسوة وعلى سياسة تبدو فى الظاهر أنها سياسة ورعة apparently pious policy أو مرتبطة بالتقوى ومرتبطة بالدين، فقد طرد المغاربة المسلمين (المسلمين العرب) the moors وظل يسوقهم ويستبعدهم ويطاردهم إلى خارج مملكته ، وكان فى سياسته لمطاردة المغاربة واقصائهم بعيدا عن مملكته مستخدما لنفس العباء same cloak ونفس الذريعة ، فقد استخدم الدين كذريعه as a pretext حيث غزى مملكة نابلس kingdom of na- ples فى عام ١٥٠٢ كذلك هاجم فرديناند ferdinand the catholic الكاثوليكى ملك أسبانيا أفريقيا Africa وغزى ايطاليا Italy ثم قام بعد ذلك بالهجوم على فرنسا ، وتأسيسا على ذلك فقد كان دائما مدبرا للمكائد plot- ted ومنجزا للانجازات العظيمة مما جعله لايفشل أبدا فى أن يجعل رعاياه فى حالة من الدهشه والتوجس ، كما أن أفعاله هذه قد تتابعت وراء بعضها بسرعة لدرجة أنه لم يجد أى انسان الوقت الكافى لكى يكون قادرا على أن يقوم أو أن يسهم أو يحرض على القيام بثوره ضده.

ورأى ميكيافيلى أيضا أنه من المفيد جدا للحاكم أن يقوم بأفعال غير عادية فى مملكته ، تماما مثل ماسجله برنابو messer bernabo حاكم ميلان the ruler of milan خاصة اذا قام أحد بفعل غير عادى سواء أضر أو أفاد الحياة الاجتماعية والسياسة لأفراد الدولة. وتأسيسا على ذلك رأى أنه يجب أن يلجأ بطريقة معينه إلى مكافئة أو معاقبة هذا الشخص مما جعل الأمر موضوعا للكلام عند الجماهير. وفوق كل شىء . فان الحاكم فى تقدير ميكيافيلى يجب أن يستنبط وسيله must contrive لكى ينجز ويحقق من خلال كل أفعاله السمعه التى تجعله رجل عظيم of outstanding intelligence وذو بصيرة وذكاء حاد.

لقد كشف لنا ميكيافيلى عن عدة من مبادىء سياسية وقوانين عامه من الممكن للحاكم أن يستفيد منها فى ممارسته لادارة الدولة التى يحكمها. وقد وردت هذه المبادىء العامة بصورة عامة فى فصل كتبه ميكيافيلى بعنوان «الملكيات المختلطة» mixed principalities أو مامعناه نظم الحكم القائمة على انضمام أكثر من دولة أو أكثر من منطقة فى نطاق دولة واحدة. مما يحدث حاليا فى أيامنا هذه فى العالم السياسى والأحداث السياسية المعاصرة لحياتنا خاصة فى منطقة الاتحاد السوفيتى بعد تفككه مثلا فى صراع يلسين مع الشيشان على سبيل المثال ومع دول البلقان، ومايحدث بعد تفكك يوغسلافيا بعد انتهاء مرحلة حكم تيتو هناك فى أعقاب الصراع بين الصرب والبوسنة والتدخلات الدولية لحسم هذا الصراع وماترتب عن ذلك من ترتيبات جديدة من خلال الصراع والحرب. ويمكن لنا أن نضيف إلى كل هذا أيضا تلك الأحداث المريكه فى فلسطين خاصة بعد توقيع اتفاقية السلام. والسياسة الاسرائيلية تجاه القضية الفسطينية من ناحية وتجاه الدول العربية المجاورة لها من ناحية أخرى. ويمكن أن نضيف إلى ذلك أيضا التى أعقبت انتهاء شهر ابريل عام ١٩٩٦ خاصة فى الأيام التالية مباشرة لمؤتمر شرم الشيخ* مما انتهى بمذبحة قانا فى الجنوب اللبنانى. والسلوك الاسرائيلى العسكرى العنيف تجاه بعض المنظمات الفلسطينية على وجه الخصوص. مثل حركة حماس ومنظمة حزب الله. وبعد ذلك يمكن لنا أن نشير إلى ظهور بعد التحالفات العسكرية فى المنطقة مما شاركت فيها اسرائيل على وجه الخصوص. ويشكل عام لمجمل هذه الملاحظات أو القوانين العامه فيما يلى وكما شرحها ميكيافيلى :

١ - نظم الحكم الجديدة تلقى دائما صعوبات

"It is in new principalities that there are real difficulties"

---

* سعى الرئيس حسنى مبارك إلى تجميع رؤساء العالم المعاصر والدول الكبرى فى الأمم المتحدة إلى مؤتمر شرم الشيخ من أجل دعم عملية السلام فى منطقة الشرق الأوسط، ولكن للأسف كانت النية مبيته لدى اسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة إلى اتجاه مغاير، حيث توجه الرئيس الأمريكى كلينتون فى أعقاب انتهاء المؤتمر وبصحبته رئيس وزراء اسرائيل إلى اسرائيل لعقد اجتماعاتع التى بدو وأنها كانت بمثابة التخطيط لضرب المنظمات الإسلامية الفلسطينية التى تلجأ إلى استخدام السلاح والقضاء عليها كلية. مما ترتب عليه أكثر من عشرة أيام متتالية من الخراب والدمار والعنف الاسرائيلى فى جنوب لبنان.

تزداد هذه الصعوبات اذا كانت دولة قد انضمت إلى دولة ولجأت اليها أو حاكم استعان بحاكم آخر أو اتحد معه معتمدا على قوته.

وفى نظم الحكم الجديدة أو فى الممالك الجديده «يقبل الناس على تغيير حكامهم بمحض الرغبة والارادة ، آملين فى تحسين أحوالهم ». وهذه العقيده تدفع بهم إلى الثورة على حكامهم الذين خدعوهم، لاسيما اذا أثبتت التجارب أنهم قد انتقلوا من حالة سيئة إلى حالة أسوأ منها. وهذه نتيجة حتمية لسبب بديهى وهو مايلحقه جنود الحاكم الجديد من أذى محتوم بالرعايا فى المملكة التى وصل الحاكم اليها ، أو مايؤدى اليه احتلاله من عدد لاحصر له من الاضرار والاساءات*. وهكذا فانك ستجد اعداؤك دائما ، أولئك الذين تضرروا من جراء احتلالك لبلادهم ، وليس فى امكانك الاحتفاظ بصداقة أولئك الذين ساعدوك فى الحصول على هذه الممتلكات الجديدة ، لأنك لن تستطيع تحقيق جميع آمالهم، كما أنك ستكون عاجزا عن مقابلتهم بالشده والصرامه بالنظر لما تشعر به من دين لهم عليك . ولهذه الأسباب كلها ، مهما كانت جيوشك بالغة القوة فانك ستحتاج كل الحاجة إلى عطف السكان لتتمكن من احتلال بلادهم. ولعل فيما ذكرت مايوضح الأسباب التى أدت إلى اخراج لويس الثانى عشر Louis XII ملك فرنسا من ميلان (سبتمبر ١٤٩٩) بعد احتلاله لها بفضل جيوشه القوية بوقت قصير (فبراير ١٥٠٠) ، مع العلم بأن القوات التى أخرجته لم تتعد ، جيوش لو دفيكو

---

* اذ لا شك ان الجنود عندما يتجولون فى انحاء المدينة او المقاطعة فان هذا سوف يثير غضب الشعب وحنقهم ولعل هذا هو اللى جعل ميكيافيلى يرى آن الحاكم اللى لا يدرك الشرور فى مراحلها المبكرة لا يعتبر حاكما عاقلا . ويؤكد ان الحاكم الجديد a new ruler بصفة خاصة لا يستطيع ان يتجنب ان يكون مزعجا قاسيا ما دامت الدولة الجديدة مليئة بالاخطار فهناك دائما ضرورة ترتبط بالشدة والازعاج والقسوة والجفاء Harsh necrssity بالنسبة للحاكم الجديد فى الدولة الجديدة .

الذين فتحوا أبواب مدينتهم طوعا ورضى فى بادىء الأمر للملك الفرنسى ، سرعان ماوجدوا الأمال التى تعلقوا بها تتلاشى بسرعة البرق ، ولأنهم لم يحصلوا على المنافع التى كانوا يتوقعونها ، وهكذا تعذر عليهم احتمال هذا الحكم الجائر للحاكم الجديد».

This is that men are very ready to change their ruler when they believe that they can better their condition, and this belief leads them to take up arms a gainst him. but they are mistaken, because they later realise through hard experience that they have made their condition worse. This asrises from another natural and normal constraint, which is that anyone who becomes a new ruler is always forced to injure his new subjects, both through his troops and countless other injuries that are involved in conquering a stste the outcome is that you make enemies of all those whom you have injured in annexing a principality, yet you cannot retain the friendship of those who have helped you to become ruler, because you cannot satisfy them in the ways that they expect. Nor can you use strong medicine against them, since you have obligations to them. for even if one possesses very strong armies, the goodwill of the inhabi-

taınts is always necessary in the early stage of annexıng a country.

There were the reasons why louis XII of france quickly annexed milan, and just as quickly lost it, and ludovico's own troops were sufficiently powerful to deprive him of it the frist time.

For when the people who had opened the gates to louis found that they did not yeceive the benefits they had expected, they could not endure the oppressive rule of the new master."

وهذا ولاشك يفسر لنا لماذا تلقى النظم (نظم الحكم) الجديدة القائمة على التعاون والضم الكثير من المصاعب وخاصة عندما تكون الدولة عضو في دولة مختلطة.

if the prıncipality is not completely new but is like a limb that is joined to another principality

ولاتكون دولة جديدة بمعنى الكلمة (١).

(1) See : cambridge Texts in the History of Political Thought, Machiavelli, the prince, Edited by, quentin skinner, professor of political science in the university of cambridge and fellow of christ;s college, and russell price, senior lecturer in politics, university of lancaster, cambridge university press, cambridge, new york, sydney, first published 1988, ch: III (Mixed principalities), pp. 6-7.

راى ميكيافيلى انه «من الواجب أن نلاحظ أولا ، ان الدول ، التى تتحد بفعل الضم ، مع دولة قائمة من قبل ، قد تكون أولا تكون تحمل نفس القومية وتتحدثان بنفس اللغة. فمن السهولة بمكان عظيم الإحتفاظ بالضم خاصة اذا كان الشعب غير معتاد على ان يحكم نفسه بنفسه» وينبه ميكيافيلى «أنه فى سبيل الاحتفاظ بهذا الوضع بعيدا عن كل خطر فانه يجب على الحاكم أن يقضى نهائيا على الأسرة التى كانت تحكم فى الماضى تلك الدولة وماتبقى بعد ذلك فانه يشكل أمرا غاية فى البساطة».

"To hold them securely, it is enough to wipe out the family of the ruler who held sway over them, because as far as other things are concerned. the inhabitants will continue to live quietly, provided their old way of life is maintained and there is no difference in customs this has happened with Burgundy, Brittany, gascony and normandy, which have been joined to france a for long time.

فالأوضاع السائدة لن تتأثر ولن تضطرب اذ يعمد الناس إلى الهدوء فى ظل الحاكم الجديد وقد ظهر هذا بوضوح فى بورغنديا وبريتانى وغسكونيا ونورمانديا وقد اتحدت كلها مع فرنسا.

"I say, then, that the territories a conqueror annexes and joins to his own well established state are either in the same country, with the same language, or they are

not. if they are, it is extremely easy to hold them, especially if they are not used to governing themselves"[1].

وقد ذهب ميكيافيلى إلى أن الحاكم الذى يريد الاحتفاظ بالمدن city state أو المقاطعات أو المناطق أو الدول الصغيرة التى ضمها إلى حكمه فإنه عليه «ان يجعل نصب عينيه دائما ضرورة اتباع أمرين فى غاية الأهمية ، أولهما أن يبيد الأسرة الحاكمة السابقة ، وثانيهما عدم احداث تبديل جوهرى فى قوانين هذه المناطق والا يغير قوانين هذه المناطق أو الدول وضرائبها ، وبهذه الطريقة يمكن للبلدين أن يتحدا فى وقت قصير جدا ، وأن يؤلفا كيانا سياسيا واحدا » [٢].

"Anyone who annexes such countries, and is determined to hold them, must follow two policies : the first is to wipe out their old ruling families; the second is not to change their laws or impose new taxes then the old principality and the new territory will very soon become a single bod politic"

وعنه ميكيافيلى من الأفضل للحاكم «ومن أفضل الحلول ومن خير الوسائل وأكثرها طمأنينة هو أن يقرر الحاكم الجديد ، اقامة مقره فى الممتلكات الجديدة ، وهذا القرار يجعل الامتلاك أكثر سلامة mأطول أمدا . وهو مافعله الأتراك فى بلاد اليونان»

"One of the best and most effective solutions is for

(1) Ibid : ch : III, p. 8-9.
(2) Ibid : Ch : III, p. 8.

the conqueror to go and live there[a] . this makes the possion more secure and more permanent. this is what the turks did in Greece [b] all the other measures taken by them to hold that country would not have sufficed if they had not instituted direct rule."(1)

فاحتفاظ الأتراك باليونان لم يكن ممكنا الا بالانتقال إلى بلاد اليونان والعيش فيها. وهذا معناه :

«ان وجود المحتل في المنطقة يمكنه من رؤية الاضطرابات عند وقوعها ومعالجتها فورا، أما اذا كان بعيدا عنها، فإنه لن يسمع بنشوبها إلا بعد فترة ، وبعد أن يصبح من الصعب علاجها. ويضاف إلى ذلك أن المقاطعة المحتلة لن تصبح مسرحا لشهوات موظفي الحاكم المحتل ، وسيكون في مقدور الرعايا الوصول إلى مايتطلعون إليه من أنصاف من خلال الإتصال المباشر بحاكمهم»

'For if one does do that, troubles can be detected when they are just begining and effective measures can be taken quickly.

But if one does not, the troubles are encoutered when they have grown, and nothing can be done about them. moreover, under direct rule, the country will not be exploited by your officials; the subjects will be content if they have direct access to the ruler" (Ibid : Ch: III, pp. 9-10)p. 9.

---

(1) Ibid : Ch : III, pp. 8 - 10.

وقد رأى ميكيافيلى أن العلاج الأفضل يتمثل فى اقامة مستعمرات تقيم فيها جاليات فى أماكن قليلة فى مكان أو مكانين استراتيجين مثل سلسلة جبال فى الدولة، اذ أن من الضرورى ، إما تنفيذ هذه الخطة أو الاحتفاظ بقوات عسكرية كبيرة فى البلاد المحتلة. ولاتكلف هذه المستعمرات الحاكم شيئا ، إلا تكاليف بسيطة ، وفى وسعه أن يرسل الجاليات وأن يشبع احتياجاتها إلى المراحل الأولى بتكاليف بسيطة، وفى عمله هذا لن يسيء إلا إلى أولئك الذين تؤخذ منهم حقولهم وبيوتهم ، ليقيم فيها السكان الجدد ، وهم لايؤلفون نسبة بسيطة من سكان البلاد المحتلة، وهم بعد فقدهم لأراضيهم أصبحوا فقراء مشردين فى كل مكان ، ليس فى وسعهم الحاق الأذى بالحاكم أو الأمير ، بينما بقية السكان لم يصابوا بسوء ويحافظوا على هدوئهم بسهولة مخافة الاساءة إلى الحاكم مما قد يعرضهم لمعاملة تشبه تلك التى لحقت بمن فقدوا أراضيهم . وبصورة عامة فان هذه المستعمرات لاتكلف الحاكم كثيرا ، وتكون مواليه ومخلصة له وأقل ضررا من السكان الأصليين، الذى أصبحوا مبعثرين وفقراء».

"The other very good solution is to establish colonies in a few places, which become, as it were , off shoots of the conquering state. if this is not done, it will be necessary to hold it by means of large military forces. colonies involve little expense; and so at little or no coast, one establishes and maintains them. the onle people injured are those who lose their fields and homes, which are given to the new settlers; but only a few inhabitants are affected in this way. moreover those whom he in-

jures can never harm him, because they are poor and scattered. all the other inhabitants remain unharmed, and should therefore be reassured, and will be afraid if causing trouble, for fear that they will be dispossessed, like the others. I conclude that these colonies are not expensive, are more loyal, and harm fewer people, and those that are harmed cannot injure you because, as I said, they are scattered and poor"

وذهب ميكيافيلى انه «نظرا لان الناس اما اننا نلاطفها ونعاملها بالحسنى أو اننا نسحقها تماما ، ونظرا لأن الناس تتأثر وتنتقم من الاساءة البسيطة ، وتعجز عن الإنتقام من الاساءة الكبرى الشديدة ، فإن أى اسائة أو اضرار أو ظلم نعمله يجب أن يكون من النوع الذى لانخاف بعده من الانتقام أو الثأر» وهذا معناه ضرورة استخدام أقسى أنواع الظلم والسحق*.

'It should be observed here that men should either be caressed or crushed ; because they can avenge slight injuries, but not those that are very severe. hence, any in-

* لايتفق الظلم بالطبع مع الإسلام ومبادىء الدين الإسلامى. ولكن فى نطاق السياسة والتعامل مع العدو بصورة عامة فإن الدول خاصة النظم السياسية الاستبدادية التى تعتمد على الحكم المطلق مثل النظام النازى والنظام السوفيتى سابقا، وماهو قائم الآن وواضح فى نشاط الحكومة الاسرائيلية الحالية، فان هذه النظم تلجأ إلى استخدام أقسى الامكانيات الدرامية وأقسى أنواع الظلم ، = =

jury done to a man must be such that there is no need to fear his revenge,"(1)

وقد فضل ميكيافيللى دائما اقامته المستعمرات فى المناطق أو الدول الجديدة المحتلة (أو المنضمه) عن اقامة المعسكرات ، فقد رأى أن اقامة المعسكرات التى يسكنها الجيش تكون أكثر تكلفة more expensive وتمتص كل الدخول all the revenue التى تأتى من المنطقة أو الدولة وذلك من أجل حماية هذه المعسكرات. كما أن هذه المعسكرات تسبب الاساءة nuisance للناس وتستثيرهم بصورة أكبر خاصة عندما تتجول فصائل هذا الجيش حول المدينة أو الدولة فيقاسى الجميع من هذه الاساءة. وهذا كله فيه خسارة للحاكم لأن الناس ستكره الحاكم ويصبح الناس اعداء خطرين لأنه مع أنهم قد هزموا فإنهم مازالوا يعيشون فى أوطانهم، ولذلك فان الحل العسكرى الخاص بانشاء المعسكرات يعتبر حل مضلل misguided بينما الحل الخاص بانشاء مستعمرات يشكل حلا مؤثرا وفعالا extremely effective لدرجة كبيرة جدا.

= = = = مما يتضح الآن فى تعامل الحكومة اليهودية فى اسرائيل مع الشعب الفلسطينى خاصة بعد أن تولى بنيامين نتنياهو الحكم فى اسرائيل الذى أرى أنه قد تشبع تماما بالفلسفة السياسية الميكيافيلية وهو الآن يقوم بتطبيق أفكارها على أكمل وجه ، خاصة فى نطاق الظروف والفرصة الحالية المهيأة له. مما يرتبط بفكر ميكيافيلى بخصوص كلامه عن الحظ والفضيلة فى فلسفة السياسة وأهمية التكيف مع الزمن واستغلال المناسبة أو الفرصة.

(1) Ibid : Ch : III, p. 9.
also see : CF. DISC. II, 23.

However, if military forces are sent instead of colonists, this is much more expensive, because all the revenue of the region will be consumed for its security. the outcome is that the territory gained results in loss to him; and it is much more injurious, because it harms the whole of that region when his troops move round the country. Everyone suffers this nuisance, and becomes hostile to the ruler. And they are dangerous enemies because, although defeated , they remain in their own homes. From every point of view, then, this military solution is misguided, whereas establishing colonies is extremely effective"(1)

وهكذا أكد ميكيافيلي بكتاباته أكثر من مرة أن الحاميات غير مجدية ومكلفة وضارة ، بينما الجاليات واقامة المستوطنات نافعه كل النفع بالنسبة للحاكم والدولة معا.

هذا وقد أكد ميكيافيللي أن الحاكم الذي يمتلك مقاطعات أجنبية احتلها بالقوة ، عليه أن يقيم من نفسه زعيما لجيرانه وأن يأخذ المبادرة لأن يكون حاميا لجيرانه الأقل قوة وان يسعى إلى اضعاف الأقوياء من هؤلاء الجيران، وعلى الحاكم أيضا أن يأخذ الحذر والحيطة Take precautions من امكانية حاكم

(1) See: Cambrodge Texts In The History of Political Thought, Machiavelli, the Prince, by: Queatein Skinner, professor of political science in the University of Cambridge and Fellow of christ's College, and Russell Price, University of Lancaster, Cambridge University press, Cambridgge, New York, Sydney, First Published 1988, Ch: III (Mixed Principaslities) pp. 10 -11.

أجنبى آخر قوى مثله من أن يسعى إلى غزو الدولة عندما تكون الظروف مناسبة».

"Again, as I have said, anyone who rules a foreign country should take the initiative in becoming a protector of the neighouring minor powers and contrive to weaken those who are powerful within the country itself. He should also take precautions against the possibility that some foreigh ruler as powerful as himself may seek to invade the country when circustances are favourable".

وهنا نجد أن ميكيافيلى يذهب إلى أن الغازى الأجنبى أو الحاكم الأجنبى بمجرد أن يدخل إمارة أو ولاية أو دولة أو مدينة كبيرة فان الأقل قوة من أهل هذه الإمارة يصبحون فورا فى أنصاره ويدفعهم إلى ذلك كراهيتهم لمن كانوا يتحكمون فى شئونهم.

ووفقا لهذا فان الحاكم لن يجد صعوبة فى كسب هؤلاء الأقل قوة، ماداموا سيندفعون إلى تأييد الدولة الجديدة التى أقامها أو القوة الجديدة التى شيدها، فهو يحتاج فقط لأن يكون حريصا فى أن لايمتلك هؤلاء المؤيدون له قوة عسكرية كبيرة أو نفوذا كبيرا. وعليه أن يستخدم قواته الخاصة ويمحض موافقتهم ورضاهم وبذلك يصبح من السهل له أن يقضى على الأقوياء فى امارته الجديدة وأن يمتلك ضبطا كاملا على الدولة».

What usually happens is that "as soon as a strong in-

vader attacks a country, all the less powerful men[1] rally to him, because they are enviously hostile to the ruler who has held sway over them the invader has no trouble in winning over these less powerful men, since they will all be disposed to support the new power he has acquired. He needs only to be careful that they do not acquire too much military power and influence. And using his own forces, and with their consent, he can easily put down those who are powerful, thus gaining complete control of that country".

وقد ذهب ميكيافيلى إلى أن «الحاكم الذى لايحكم بهذا الأسلوب فانه سرعان مايخسر ماحققه من مكاسب ، كما أنه فى أثناء حكمه القصير – حتى فى حالة كونه قابضا على الأمور فى دولته – فانه سوف يواجه مصاعب ومشاكل – لاحصر لها». وهنا نجد أن ميكيافيلى يشير إلى أسلوب الرومان romans فى جميع المقاطعات التى احتلوها ويعبر عن اعجابه بهم «لأنهم اتبعوا هذه السياسة جيدا فى البلاد التى غزوها ، فأقاموا المستعمرات colonies وشيدوا علاقات صديقة مع الدول الأقل منهم قوة (دون أن يعملوا على زيادة نفوذها) كما أخمدوا سلطان الأقوياء كما أنهم حرصوا وكفلوا وضمنوا ألا تمارس القوى الأجنبية الكبرى أى تأثير عليهم»[٢].

(١) هؤلاء من الذين يملكون القوة والتأثير أو السلطة وليس الجماهير.

(2) Ibid : Chapter III (mixed principalities), p. 10.

"The Roman followed these policies very well in the countries they conquered. they established colonies, they had friendly relations with the less powerful (though without increasing their influence), they put down the powerful, and they ensured that strong foreign powers did not acquire influence in them".

وفى أكثر من مرة نبه ميكيافيلى إلى أن «الحكام يجب ألا يحصروا اهتمامهم بشئون الحاضر ومشاكله القائمة ، بل يتعدونها إلى مايتوقعونه من خلافات فى المستقبل. فيتخذون أهبتهم لمواجهتها ودرء أخطارها. اذ أن مجرد توقعها يمكن الإنسان من علاجها بسهولة أما اذا انتظرنا مجيئها حتى تقع ، فان علاجها فى هذه الحالة يصبح غير ذى قيمة نظرا لأنها قد أصبحت متأصلة. وهذا ينطبق على الأمراض التى يقول عنها الأطباء أنها تكون صعبة التشخيص وسهلة العلاج فى بداية الأمر ، لكنها مع مرور الوقت ، اذا سمحنا لها بالبقاء بدون علاج تصبح سهلة التشخيص وصعبة الشفاء. وهذا ينطبق أيضا على شئون الدولة» (١).

"The have to deal not only with existing troubles, but with trobles that are likely to develip and have to use every means to overcome them. for in the first signs of trouble are perceived, it is easy to find a dsolution; but if one lets trouble develop the medicine will be too late,

---

(1) Ibid : Ch : III, pp. 11-13.

because the malady will have become incurable. And what physicians say about consumptive diseases is also true of this matter, namely, that at the beginning of the illness, it is easy to treat but difficult to diagnose, but, if it has not been diagnosed and treated at an early stage, as time passes it becomes easy to diagnose but difficult to treat. This also happens in affairs of state; for if one recognises political problems early (which only a shrewd and far - seeing man can do), they may be resolved quickly, but if they are not recognised, and left to develop so that everyone recognises them, there is no longer any remedy".

ولعل قناعة ميكيافيلى بهذه الأفكار هو السبب فى أنه قد ابان عن اعجابه بالرومان the Romans لأنهم كانوا يلاحظون الاضطرابات قبل وقوعها، ويعملون على عدم السماح لها بالازدياد حتى يتجنبون قيام الحروب. وهو يؤكد على هذه النقطة بالذات فى قوله :

«اذا أنهم عرفوا أن الحرب أمر لايمكن تجنبه ، وانما فى الإمكان تأجيله ، وغالبا مايكون هذا التأجيل فى صالح الجانب الآخر».

"They perceived troubles when they were merely brewing, were always able to overcome them. they nev-

er a llowed them to develop in order to avoid fighting in ware, for they knew that wars cannot really be avoided but are merely postponed to the advantage of others.

وهكذا رفض الرومان دائما الحكمة السائدة التى كان يقول بها حكماء زمنه ممثلة فى القول :

To seek to benefit from temporis- « فلنتمتع بفوائد التأجيل »
ing وكانوا يفضلون دائما ان يتمتعوا بالفوائد التى تنبع من قوتهم الخاصة وحكمتهم الخاصة واحساسهم، لأنهم كانوا يعتقدون ان الزمن يأتى بكل الأمور معه، كما أنه قادر على أن يأتى بالفوائد مثلما هو قادر على أن يأتى بالشرور كذلك قد يأتى الزمن بالشرور مثلما هو قادر على أن يأتى بالخير أو الفوائد.

"They preferred to enjoy the benefits that drived from their own strength and prudence, because time brings all things with it, and can produce benefits as well as evils, evils as well as benfits".

وقد ذهب ميكيافيلى إلى أن الملك أو الحاكم لايجب أن يتخلى عن الحكام المجاورين له ، بل عليه أن يساعدهم ولايجب عليه أن يتعاون مع حاكم آخر بعيد لكى يأتى إلى منطقته مهما كانت الظروف لأن هذا الحاكم القوى الذى يتعاون معه، قد يشكل خطرا عليه فى الأيام المستقبلة[١].

---

(١) راجع مختارات كمبردج فى تاريخ الفكر السياسى ، ميكيافيلى ، الأمير ، تأليف كوين سكنر ورسل بريس ١٩٨٨ انظر صفحة ١١ – ١٢.

Ibid : Ch : III, pp. 11-12.

ولهذا انتقد ميكيافيلى الملك لويس Louis ملك فرنسا الذى تعاون مع ملك أسبانيا Ferdinand the cathloic فأصبح يشاركه ملك آخر بعد أن كان هو الحاكم المطلق القوى لايطاليا كما أنه ازاد من قوة حاكم كان يمتلك القوة فعلا فى ايطاليا. لقد رأى ميكيافيلى أن الملك لويس ملك فرنسا أخطأ كثيرا عندما تخلى عن الدول الصغرى وضاعف فى ايطاليا من قوة الباب الكساندر pope Alexandre وهكذا أضاف للكنيسة قوة جديدة وأضاع أصدقائه عندما طمع فى أن يحكم مملكة نابولى Naples واقتسمها مع ملك أسبانيا [1]. وبذلك أتى الى ايطاليا بملك أجنبى قوى. كما أنه لم يقم فى البلاد التى احتلها ، ولم ينشأ فيها مستعمرات أو جاليات وباختصار سلم لويس ملك فرنسا رومانا Ro-magne للبابا الكساندر وسلم مملكة نابولى لأسبانيا.وكذلك أضاع لويس لومبارديا Lombardy من جديد.

يقول ميكيافيلى لنا فى كتابه الأمير فى الفصل الثالث:

«لقد ناقشت هذا الموضوع مع الكردينال روهان ، فى مدينة نانت ، عندما كان الدوق البابا الكساندر مشغولا باحتلال رومانا. وقد قال لى الكردينال روهان ، ان الايطاليين لايفهمون فى فن ادارة الحرب وقد أجبته بأن الفرنسيون لايفهمون فى فن ادارة الدولة . اذ انهم لو كانوا يفهمون ، لما سمحوا قط للكنيسة بأن تصل إلى هذه الدرجة من القوة ، فقد دلت الخبرة على أن قوة كل من الكنيسة

(١) بمجرد أن وصل الملك لويس الثانى عشر ملك فرنسا إلى ميلانو Milan بدأ فى مساعدة البابا الكساندر فى احتلال رومانا Romagna كما أنه بمعاهدة غرناده فى ١١ نوفمبر ١٥٠٠ اتفق الملك لويس الثانى عشر ملك فرنسا مع فردناند الكاثوليكى ملك أسبانيا على غزو مملكة نابولى the kingdom of Naples على أن تاخذ فرنسا كامبانيا Campania وابريزى abruzzi وتأخذ أسبانيا ابوليار Apulia وكلابريا Calabria.

ومست اسبابها في ايطاليا . هما من صنع فرنسا وكان من نتيجة هذا أن جاء خراب فرنسا ودمارها. ومن هذا يمكن لنا أن نستخرج تعميما أو قاعدة عامة تكون صحيحة دائما ، ومؤدى هذه القاعدة العامة هو أن أى شخص يمكن شخص آخر لكى يصبح قويا ، يجلب على نفسه الدمار»[1].

"..From this may be derived generalisation, which is almost always valid : Anyone who enables another to become powerful, brings about his own ruin. for that power is increased by him either through guile or through fore, and both of these are reasons for the man who has become powerful to be on his guard."

فقد ذهب ميكيافيلى إلى أن القوة تأتى عن طريقين : الحيلة guile أو القوة العسكرية Force وهاتان الطريقتان يجب أن تكونا موضع شك وحذر دائما.

ونلاحظ أن ميكيافيلى قد أكد فى الفصل الرابع من «الأمير» أن الحاكم اذا ترك الولاة والنبلاء وعجز عن اضعافهم أصبح يعيش فى خطر مستمر بسبب وجودهم وقدرتهم على استدعاء حاكم آخر قوى ليثور أو يقهر الأمير ، ولكن اذا طمس الحاكم الأسرة الحاكمة والنبلاء من أصحاب الامتياز والقوة والنفوذ أصبح من السهل احتلال تركيا ومن السهل احتلال فرنسا أو الممالك التى كانت تحكم

(1) See : Quentin skinner and russell price, op. cit, ch : III, p. 14.
also see : H. Barson, Machiavelli : the republican citizen and the author of the "prince", english historical review. 76 (1961), pp. 217-253.

على غرارها. ولنفس السبب أيضا تمكن الاسكندر الأكبر من الاحتفاظ بآسيا[1].

وفى معالجة لأمر الدول التى تم احتلالها ذهب ميكيافيلى إلى أن هذه الدول اذا كانت قد تعودت الحرية فى ظل قوانينها الخاصة فهناك ثلاث سبل للاحتفاظ بهذه الدول :

السبيل الأول : هو تجريدها من كل شيء. والسبيل الثانى هو أن يذهب الأمير المحتل ليقيم فى ربوعها. والسبيل الثالث هو أن يسمح لأهلها بالعيش فى ظل قوانينهم مكتفيا بأخذ الجزية منهم وأن يعمل على خلق حكومة تعتمد على الأقلية الموالية للحاكم.

وقد رأى ميكيافيلى أن المدينة التى تعودت على الحرية لا ترضخ أو تذعن بسهولة إلا إلى أبنائها ومواطنيها. وهذا هو السبيل الصحيح للاحتفاظ بهذه الدول.

وقد ذهب ميكيافيلى إلى أنه فى الحقيقة : «المدن المهدمه هى السبيل الوحيد الأكيد للسيطرة عليها. ولاتوجد وسيلة مضمونة للاحتفاظ بالدول أو المدن أو الممالك المحتلة جديدا إلا عن طريق تجريدها من كل شيء ، وكل من يسيطر على مدينة حرة لايقوم بتهديمها ، يتعرض هو للدمار منها، لأنها ستجد دائما الحافز على العصيان باسم الحرية وباسم أعرافها القديمة التى لايسدل الزمن عليها ستائر النسيان ، ولاتلحق بها المنافع الجديدة الأهمال والتغاضى ، ومهما عمل

---

(1) See : Quentin skinner and russell price, cambridge university press, 1988, Ch: IV (why the kingdom of darius conqered by Alexander, did not rebel against his successors after Alexander's death), pp. 15-17.

الحاكم الجديد ، فانه لن يستطيع أن ينس أهلها ، اسم مدينتهم أو اعرافها ، إلا اذا مزقهم شر ممزق، ومزقهم فى كل صقيع. اذ أنهم سيظلون ذاكرين هذه الأعراف ينشدونها عند كل طارىء كما فعلت مدينة بيزا بعد سنوات طويلة من احتلال الفلورنيسيين لها »(١).

"In fact, destroying cities is the only certain way of holding them. Anyone who becomes master of a city accustomed to a free way of life, and does not destroy it, may expect to be destroyed by it himself, because when it rebels, it well always be able to appeal to the spirit of freedom and its ancient institutions, which are never forgotten, despite the passage of time and any benefits bestowed by the new ruler. whatwver he does, whatever provisions he makes, if he does not fomet internal divisions or scatter the inhabitants, they will never forget

(1) See : Cambridge Texts in the History of Political Thought, Machiavelli, the prince, edited by : Quentin skinner, professor of political science in the university of cambridge and fellow of christ's college. and Russell Price senior lecturer in politics, university of lancaster, cambridge university press, Cambridge, new york, port chestex, melbourne, sydney, first published 1988, ch: V (How one should govern cities or principalities thatm, before being conquered used to live under their own laws), p. 18. Also see : esp, Disc, II, 2. and see : J. N. stephens, the fall of the florentine rebublic 1512 - 1530 (oxford, 1983), pp. 88-91 . also see : H.C. Butters, governors and government in early sixteenth - century florence, 1502 - 1519 (oxford, 1985), pp. 44-89.

their lost liberties and their ancient institutions, and will immediately attempt to recover them whenever they have an opportunity, as pisa did after enduring a century of subjection to the florentines"

وفرق ميكيافيلى بين الحكام أو الأمراء الذين يمتلكون الكفاءة البالغة أو المقدرة الخاصة their own ability وبين الأمراء الذين وصلوا إلى الحكم اعتمادا على حسن الطالع** luck or farour من الحكام من الطراز الأول أشار ميكيافيلى إلى موس Moses وكورش Cyrus وروميو لوس Romulus وثيزيوس Theseus وذهب إلى أن أعظمهم موسى عليه السلام لقداسته التى تتعلق بواقعة أنه تحدث مع الله.

من الطراز الثانى عند ميكيافيلى هؤلاء الحكام الذين يدينون للفرص. حيث أتاحت لهم هذه الفرص أن يشكلوا المادة فى الشكل الأمثل أو الأفضل لهم أو لمصلحتهم * فلو كانوا قد افتقروا إلى هذه الفرص ولم تتاح لهم فان قوة روحهم كانت قد ضاعت هباء ، واذا لم تكن لديهم الكفاءة والمقدرة لضاعت منهم هذه الفرص وعجزوا عن الاستفادة منها واستغلالها، وهكذا اعتمد موسى على سيد عظيم يستند عليه هو الله سبحانه وتعالى ، واعتمد الآخرون على مقدرتهم الخاصة والفرص التى عرفوا كيف يستفيدون منها. لكن الذين يصلون إلى مكانة الأمير من خلال اعتمادهم على مقدرتهم الخاصة their own abilities تكون

---

* They owed nothing to luck except the opportunity to shape the material into the form that seemed best to them.

** See : T. Flanagan, "The concept of fortuna in machiavelli", in the political calculus, A. parel (toronto, 1972), pp. 127-56.
Also see : R. price, "The theme of gloria in machiavelli, RENAISSANCE QUARTERLY 30 (1977), pp 588-631.

خبرتهم غير مكتملة وبذلك يلقون المصاعب فى الوصول إلى الحكم ويتأتى ذلك فى الصعوبات التى يقابلونها والتى تنشأ جزئيا من البدأ فى تأسيس التنظيمات الجديدة والقوانين التى يكونوا مضطرين إلى اصدارها من أجل تشييد قوتهم وجعل هذه القوة فى مأمن من المخاطر[١].

وقد أكد ميكيافيلى أن الأخذ بالمبادرة فى خلق شكل جديد للحكومة يشكل مسألة غاية فى الصعوبة وغاية فى الخطورة أيضا. ومن الصعب unlikely أن تحقق نجاحها اذا افتقر الحاكم إلى القوة . والسبب يتمثل فى أن كل الذين يستفيدون من النظام القديم سوف يعارضون هذا النظام. وهنا نجد أن ميكيافيلى بعد أن يشرح ان «الذين ينتقلون الى مرتبة الامارة أو الحكم عن طريق قدراتهم الخاصة وكفاءاتهم، يحصلون على ممالكهم بصعوبة، ولكنهم يحتفظون بها بسهولة» ، وتنبع هذه الصعوبات التى يقابلونها فى مرحلة التأسيس جزئيا من الشرائع والقوانين والأنظمة الجديدة التى من الواجب ادخالها ، لتوطيد أقدامهم ودعم نظام الحكم وترسيخه.

وعلينا أن نعتبر أن أصعب شيء فى التنفيذ، وأكثره تعرضا للفشل ، وأصعبه فى المعالجة ، هو إقامة نظام جديد للأمور. وذلك لأن المصلح أو الحاكم يجد أعداء دائما بين أولئك الذين كانوا يستفيدون من النظام القديم كما يجد أنصاره من ضعاف الهمه بين الآخرين الذين ينتفعون من النظام الجديد ، وهذا الضعف ناجم إلى حد ما عن خوفهم من أعدائهم، الذين يتمتعون بحماية القانون،

---

(١) ارجع إلى نصوص جامعة كمبردج فى تاريخ الفكر السياسى - ميكيافيلى تأليف كونتين سكنر ورسل بريس ص ١١- ٢١.

والى حد اخر مما يمتاز به الجنس البشرى من شكه دائما فى كل ماهو جديد اد ان الإنسان لايؤمن بالجديد إلا بعد أن يختبره اختبارا عمليا وحقيقيا ، وهكذا عندما يظهر الحاكم الجديد أو المصلح يهاجمه خصومه بحماس بينما يدافع عنه أنصاره دفاعا فاترا خائرا ، ويتعرض هو فى خضم ذلك هو وأنصاره المخلصين إلى خطر عظيم.

وهنا فانه من الضرورى اذا رغبنا فى اختبار هذه المسألة اختبارا دقيقا ،ان نفحص ما إذا كان هؤلاء المجددون مستقلين ، أو أنهم يعتمدون على غيرهم، وهذا يعنى ، هل لابد لهم لتنفيذ خططهم أن يرجوا غيرهم أو أنهم قادرون على فرض ارادتهم بالقوة. ولاينجح المصلحون فى الحالة الأولى ولايحققون شيئا ، ولكنهم إذا استطاعوا الاعتماد على قوتهم وتمكنوا من استخدام القوة ، فانهم يندر أن يكون الفشل ملازما لهم أو أن يعجزوا على التغلب على الصعوبات التى يلقونها. وتأسيسا على ذلك فإن كل الأنبياء المسلحين قد احتلوا وانتصروا بينما فشل الأنبياء غير المسلحين، وهذا يحدث لأنه بالترتيب على العوامل التى سبق الاشارة اليها تختلف طبيعة الشعوب والشعوب دائما متقلبة Fickle ، فانه من السهل أن تقنعها بأمر من الأمور ، لكنه من الصعب ابقائها مقتنعة ، ولهذا فانه من الضرورى فرض الأمور عليها ، حتى اذا توقفت عن الاقتناع بخطتك أو برنامجك أرغمت عليه بالقوة» (١).**

"Those who, like them (moses, syrus, Romulus), be-

---

(1) See : Cambridge texts in the history of political thought, Machiaveli, the prince, by : Quentin skinner and Russell price, cambridge university press, (1988), ch: VI, p. 21.

**To act as if they believed, in short, to obey.
forcing them to support him or, at least, not to oppose him

come rulers through their own abilities, experience difficulty in attaining power, but once that is achieved, they keep it easily. the difficulties encountered in attaining power arise party from the new institutions and laws they are forced to introduce in order to establish their power and make it secure. And it should be realised that taking the initiative in introducing a new form of government is very difficult and dangerous, and unlikely to succeed. the reason is that all those who profit from the old order will be opposed to the innovator, whereas all those who might benefit from the new order are, at best tepid supporters of him. this lukewarmness arises partly from fear of their adversaries, who have the laws on their side, partly from the sceptical temper of men, who do not really believe in new thing unless they have been seen to work well. the result is that whenever those who are opposed to change have the chance to attack the innovator, they do it with much vigour, whereas his supporters act only half-heartedly so that the innovator and his supporters find themselves in great danger.

In order to examine this matter thoroughly, we need to consider whether these innovators can act on their

own or whether they depend upon others; that is, whether they need to persuade others if they are to succeed, or whether they are capable of establishing themselves by force. in the former case, they always fare badly and accomplish nothing. But if they do not depend upon others and have sufficient forces to take the initiative, they rarely find themselves in difficulties. Consequently, all armed prophets (all rulers) succeed whereas unarmed ones fail. this happens because, a part from the factors already mentioned. the people are fickle; it is easy to persuade them about something, but difficult keep them persuaded. Hence, when they no longer believe in you and your schemes, you must be able to force them to believe".

ومما سبق ، ومن تحليل هذه الأفكار نجد أن هذا معناه إنه لكى تقوم الشعوب بالعمل وفقا لما تعتقد به معناه أن تطيع الحاكم ، كما أن اجبار الشعوب التى تتميز بأنها تكون متقلبة دائما – على معاونة الحاكم ودعمه والعمل وفقا لمشيئته ودعم خططه وبرنامجه أو مشروعه معناه على الأقل عدم الاتجاه نحو معارضته. وهذه أمور تحتاج إلى القوة فى أغلب الأحيان. وتأسيسا على ذلك فالحاكم بدون قوة عاجز واذا اعتمد على قوة حاكم آخر فهو عاجز أيضا وخاضع دائما لرغبة هذا الحاكم الآخر الذى يدعمه، لكن الحاكم الذى يمتلك القوة هو القادر على بلوغ أهدافه.

ويؤكد ميكيافيلى أن الشعوب تصبح مخنثه والرجال يصبحون هينون ضعفاء من جراء السلام الطويل.* كما حدث فى بلاد الفرس أثناء حكم الميدس.

"The Medes should have been soft and weak because of the long peace".

وكما سبق أن أشرنا فإن ميكيافيلى قد أكد أن الاعتماد فى الحرب على الجنود المرتزقة مسألة أثبتت التجارب التاريخية أنها أمر خطير على الدولة ، فلابد من الاعتماد على الجيش الوطنى من أبناء البلاد ذاتها وليس من الجنود المرتزقة. وذلك لأن ميكيافيلى قد وجد من دراساته الواقعية وملاحظاته أن هذه القوات تكون فى أغلب الأوقات بطيئة فى الحصول على المكاسب وتكون مفاجئة ومدهشة وسريعة إلى حد كبير فى تحقيق الخسائر. (1).**

---

* استمر هذا السلام الطويل من عام ٥٦٠ إلى عام ٦٠٠ قبل الميلاد.

See: N. Rubinstein, The government offlornece under the Medici 1434 - 1494 (oxford, 1966), and see : J.R. Hale, florence and the medici (london, 1977), pp. 89-97.

(1) See : cambridge texts in the history of politicall thought, machiavelli, the prince, edited by: Quentin skinner and, R. price, ch: XII (the different types of army, and mercenary troops), p. 46.

** كان البريجو دا كانيو المواطن فى روما Al berigo da Cunio المواطن فى رومان هو أول من أدخل نظام الجنود المرتزقة للعمل فى الجيش والاشتراك فى الحروب ، ويذهب ميكيافيلى إلى أن براشيروسفورزا Braccio and sforza كانا من بين الكثيرين الذين تدربوا فى مدرسته العسكرية على يديه وأصبحا حكاما لايطاليا فيما بعد. وفى رأى ميكيافيلى أنه ترتب على هذا النظام الارتزاقى احتلال الملك شارل VIII (charlés VIII) الفرنسى لايطاليا. ثم الملك لويس Louis XII من بعده ثم تعرض ايطاليا لطغيان فرديناندو الكاثوليكى Ferdinand the catholic ملك أسبانيا. كذلك تعرضت لإذلال جنود سويسرا الذين اشتهروا فى هذه الفترة بكفاءتهم العسكرية. ونلاحظ أن الدول أصبحت فى أيامنا هذه تستخدم الجنود المرتزقة فقط فى القيام بالعمليات الإرهابية لضرب النظام السياسى أو النظام الاقتصادى للدولة أو للتأثير وتهديد الاستقرار السياسى للدولة. كما تستخدم بعض الدول المتخلفة هذا النظام المعتمد على الجنود المرتزقة فى نطاق الحروب الاثنيه أو القبلية أحيانا. كما يحدث فى بعض مناطق الصراع فى أفريقيا فى ايامنا هذه .

They lost what they had gained with so much effort over eight hundred years. For using mercenaries results only in slow, tardy and unimportant gains, but sudder and astonishing losses.

وقد نبه ميكيافيلى «الحاكم» أو «الأمير» بأن القوات الاضافية أو القوات الداعمة المساندة أو المساعدة Auxiliaries (وهى القوات التى تأتى من دولة أخرى عندما يطلب أحد الحكام العون من أحد الحكام المجاورين أو فى دولة صديقة مجاورة) بأنها غير مفيدة أيضا مثل الجنود المرتزقة ، مذهب ميكيافيلى إلى أن «هذه القوات قد تكون جيدة فى حد ذاتها ، ولكنها دائما شديدة الخطورة على من يستعين بها ، لأنها إذا خسرت، فأنت المهزوم وقد تحطمت ، وإذا انتصرت ، فقد أصبحت أسيرا لها »[1]وهذا هو السبب فى تأكيده على أن هذه القوات أكثر خطرا من القوات المرتزقة.

These auxiliaries can be capable and effective but they are almost always harmful to those who use them, for if they lose you will be ruined, and if they win you will be at their mercy".

الحاكم يجب أت يعتمد فى حروبه على جيوشه لاعلى جيوش الآخرين.

كما أن الحاكم عليه أن يعتمد على نفسه وعلى جنوده، وهكذا تأخذ سمعة

(1) Cambridge texts in the history of political thought, machiavelli, the prince, by : quentin skinner and Russell price, cambridge university press, 1988, ch: XIII (auxiliaries, mixes troops and native troops), p. 48.

فى التزايد باستمرار. كما أنه يجب ألا يضاهه أحد فى الإحترام والاعتبار ، عندما ير أن الجميع أنه قد غدا السيد المطلق لقواته العسكرية.

"And when he possessed his own soldiers , and was self- sufficient militarily. then it became much greater, and he was never more esteemed than when everyone saw that he was the complete master of his own forces"(1)*.

أكد ميكيافيلى أن الحاكم لايجب أن يضفى أى أهمية على القوات الأجنبية بل كل الأهمية لجنوده الوطنيين. وأن الحاكم اذا اعتمد على القوات الأجنبية فى حروبه - كما فعل الملك لويس الحادى عشر - عندما اعتمد على القوات والفصائل السويسرية - فان هذا الحاكم يضعف من معنويات جنوده ويجعلهم يشعرون بالعجز عن خوض أي معركة اذا لم تكن القوات الأجنبية إلى جانبهم ويصبح الاقدام على أى عمل عسكرى ضد الآخرين أمرا مستحيلا. وتأسيسا على ذلك وجب على الحاكم أن «يقوم بحربه معتمدا على جيشه الخاص وليس على أي قوات أجنبية» He made was with his own troops and not foreign ones.

أكد أيضا ميكيافيلى للحاكم أن «أسلحة الآخرين أما أن تخيب ظنك أو تفشل ، أو تحملك ما لاطاقة لك به ، أو تشل حركتك فى القتال»[٢].

---

(1) Ibid : ch: XIII, p. 49.

*كما فعل قيصر بورجيا Cesare borgia، بعد أن اكتشف أنه لن يحقق النصر على أعدائه بالاعتماد على القوات الأجنبية.

(3) Ibid : ch: XIII, p. 50.

"In short weapons and arm our belonging to others fall off you or weigh down or constrict your movement".

وهنا يشير ميكيافيلى إلى قصة معبره من العهد القديم (التوارة) the old testament عندما عرض داوود David على شاوول Saul أن يمضى لمحاربة البطل الفلسطينى جوليات Goliath حيث قدم له شاوول سلاحه ودروعه لتشجيعه فقام داوود بتجربتها، ثم رفض استخدامها معتذرا بعجزه عن استعمالها فى القتال ، وفضلا مواجهة العدو بمقلاعه وخنجره. ولاشك أننا نجد هنا دعوة قديمة إلى أهمية التوجه نحو صناعة السلاح وتطويره ومسايرة العصر ودعم القوة العسكرية والاعتماد على الصناعات العسكرية الوطنية ذاتها كما فعلت ألمانيا والدول الأوربية الصناعية مثل فرنسا وايطاليا وبريطانيا وكما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية والصين وكما فعل الاتحاد السوفيتى المفكوك، وكما تفعل اسرائيل . على سبيل المثال وليس الحصر.

الحرب هى الفن الوحيد الذى يحتاج اليه كل من يتولى الحكم أو القيادة:

وأكد ميكيافيلى أنه «على الأمير أن لايستهدف شيئا غير الحرب وتنظيمها وصناعتها ، وأن لايفكر أو يدرس شيئا سواها، وأن الحرب ، هى الفن الوحيد الذى يحتاج اليه كل من يتولى القيادة. ولا تقتصر هذه الفضيلة القائمة فيها، على المحافظة على أولئك الذين يولدون حكاما، بل تتعداها إلى مساعدة الآخرين، من أبناء الشعب ، على الوصول إلى تلك المرتبة ، وكثيرا مايرى الإنسان، أن الأمير ، الذى يفكر بالترف أو الرخاء، أكثر من تفكيره بالسلاح ، كثيرا مايفقد دولته أو امارته. ولاشك فى أن ازدراء فن الحرب ، هو السبب الرئيسى فى ضياع الدول وفقدها ، وأن التمرس فى فن الحرب واتقانه ،

هو السبيل إلى الحصول على القوة وامتلاك الدول والإمارات»[١].

"A ruler, then . should have no other objective and no other concern, no occupy himself with anything exept war and its methods and practices, for this pertains only to those who rule. And it is of such efficacy that it not only maintains hereditary rules in power but very often enables men of private status to become rulers. On the other hard, it is evident that if rulers concern themselves more with the refinements of life. than with military matters, they lose power. the main reason why they lose it is their neglect of the art of war; and being proficient in this art is what enables one to gain power".

ومما سبق نلاحظ أن ميكيافيلى قد حذر «الحاكم» من أن يهمل أو ينشغل عن اهتمامه عن بفن الحرب ، أو أن ينشغل بترف الحياة ومتاعها ، أو أن يهمل الحرص على أن يكون متخصصا فى هذا الفن الذى يمكنه من امتلاك القوة ، أى أن يهتم بعمليات التسليح والتطوير المستمر لجيشه وتدريبه ، وأن يحرص على الاهتمام بالمسائل العسكرية ، مثلما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية [٢] وجميع

---

(1) Cambridge texts in the history of political thought, machia velli, the prince, by : quentin skinner and russell price, cambridge U.P., 1988, ch: XIV (How a ruler should act concerning military matters), pp. 51-53.

(٢) من المعروف أن جيوش الحلفاء والقوات الأمريكية التى شاركت معها فى ضرب العراق بعد احتلاله للكويت ، قد استخدمت أسلحة جديدة جربتها لأول مرة على أرض العراق ، كما أن القوات الأمريكية استخدمت بعض القذائف الجوية التى استخدمت وجربت لأول مرة فى = =

الدول الكبرى وخاصة فرنسا وبريطانيا وألمانيا والصين، فى عالمنا المعاصر. ولاتنسى اسرائيل ومايتصل بذلك من أمورنا الوطنية والعربية بشكل عام.

الاهتمام بفن الحرب يقتضى تطوير السلاح وامتلاكه :

أكد ميكيافيلى أن الحاكم الذى يسعى إلى تجنب الحرب ومتاعبها وصعوباتها ، يهبط من مرتبة الحاكم إلى مرتبة المواطن العادى ويفقد سلطته وقوته ، فقد ارتقى فرانسيسكو سفورزا Francesco Soforza بفضل اهتمامه بفن الحرب وتطوير السلاح وامتلاكه وحكم ميلان Milan وهبط أبناءه وخسروا كل شىء لأنهم كانوا يرغبون فى تجنب مصاعب الحرب ومشكلاتها . كذلك أكد ميكيافيلى للحاكم :

«ولعل بين الشرور ألتى يؤدى إليها الافتقار إلى السلاح ، تعريضك للمهانة والاحتقار ، وهو أمر يحط من قيمة الإنسان وعلى كل أمير أو حاكم أن يتجنبه وأن يكون دائما فى وضع الحذر والدفاع».

= هذه الحرب. حيث كانت تستخدم قذائف لها رءوس ذرية صغيرة جدا ولكنها مؤثرة وقاتلة جدا. وقد أثرت هذه الأسلحة ليس فقط على الشعب العراقى . بل على الجنود الأمريكيين أنفسهم مما أدى إلى ظهور حالات مرضية بينهم فيما بعد ترتبط بظاهر الرعشة والتشنج العصبى وفقدان القدرة على الحركة . وقد حدث هذا أيضا عندما قامت اسرائيل بضرب جنوب لبنان فى شهر أبريل عام ١٩٩٦ خاصة فى ضرب «قانا» فقد استخدمت اسرائيل متفجرات وقذائف جديدة تنفجر عند اقترابها من سطح الأرض لتكون قدرتها التدميرية كبيرة. كذلك فى أعقاب ذلك اتفقت الولايات المتحدة الأمريكية مع الحكومة الاسرائيلية على تطوير صواريخ وأسلحة وقذائف جوية تستعمل أشعة الليزر لكى تحطم القذائف التى استخدمها بعض الفصائل الفلسطينية «حزب الله» فى ضرب اسرائيل أثناء غزوها وقتلها للفلسطينين فى الجنوب اللبنانى وفى مجزرة «قانا» وهكذا تحرص الدول على تطوير أسلحتها وقذائفها وتستفيد من خبراتها الفعلية على أرض المعارك فى تطوير هذه الأسلحة.

"For being unarmed (apart from other bad consequences) results in your being despised, which is one of those disgraceful things against which a ruler must always guard .."

ولما كان «الحاكم» عليه أن يكون دائما فى وضع الحذر والدفاع، فإنه يجب أن يهتم بالمسائل العسكرية military matters ، وفن الحرب «وذلك لأن هناك فرقا كبيرا بين الإنسان المسلح والإنسان غير المسلح ، فليس من المعقول أن نفترض أن المسلح ، يستطيع بمحض ارادته ، أن يخضع لغير المسلح ، أو أن الأعزل سيكون أمينا بين اتباعه أو جنوده Servitori armati وهكذا فالأمير الجاهل بالمسائل العسكرية يتعرض إلى احتقار جنوده ، كما أنه بدوره لايثق فى ولائهم واخلاصهم له» (١).

"a ruler who does not understand military matters cannot be highly regarded by his soldiers, and he cannot trust them".

وهكذا انتهى ميكيافيلى إلى تأكيد أن «الأمير تبعا لذلك ، عليه أن لايسمح لأفكاره بأن تذهب بعيدا عن مراس الحرب ، وعليه فى أيام السلم أن

---

(1) Cambridge texts in the history of political thought, machiavelli, the prince, ch: XIV, p. 52.
Also see : CF. Disc, III, p. 39. and see : R. Price, "The senses of virtu in machiavelli", European studies Review 3 (1973), pp. 315-345.

يكون أكثر اهتماما بها من أيام الحرب ، وهذا مايستطيعه بواسطة أحد أمرين هما العمل والآخر هو الدراسة» [١].

"A ruler shpuld therefore always be concerned with military matters, and in peacetime he should be even more taken up with them than in war. there are two ways of doing this : one is by going on exercises, the other is by study".

أما بالنسبة للدراسة فإن الحاكم عليه أن يهتم بدراسة المؤلفات التاريخية التى تعالج موضوعات الحرب لكى يستفيد من هذه المؤلفات ومن أحداث التاريخ العسكرى *.

وهو يعنى بالعمل وفقا لما ذهب إليه أولا الاهتمام بمسألة النظام والتدريب للقوات المسلحة ، والاهتمام بنفسه بأن يمارس أنواع الرياضة التى تعطى له خصائص المقاتل وفى هذا نجد ميكيافيلى يقول :

«فمن ناحية العمل يتوجب عليه بالإضافة إلى الابقاء على جنوده فى حالة من النظام والتدريب ، ان يشغل وقته باستمرار من حين إلى حين فى الصيد ، وأن يعود جسمه على المشاق» [٢].

---

(1) see : R. Price, "the theme of Gloria in Machiavelli, Renaissance Quarterly 30 (1977), pp. 588- 631.

* Con la mente : studing historical works that deal with war.
see also : N. wood, "Machiavelli's concept of virtu reconsidered", Political Studies 15 (1976), pp. 159-172.

(2) Cambridge texts in the history of political thought, Machia velli, the prince, by : quentin skinner and russell price, ch: XIV, p. 52.

"With regarded to exercises, besides keeping his troops well disciplined and trainred, he should very frequently engage in hunting, thus hardening his body and, at the same time, becoming familiar with the terrain".

الحاكم يجب أن يهتم بدراسة طبيعة بلاده وتضاريسها :

هذا وقد نبه ميكيافيلى إلى أهمية «مسائل جغرافية» مما يرتبط بما يسمى فى الفكر المعاصر بالجغرافيا السياسية والجغرافيا العسكرية فذهب إلى أن الأمير عليه أن يهتم بدراسة «طبيعة البلاد» وتضاريسها [1].

"Becoming familiar with the terrain"

«مثل ارتفاع الجبال ، وعمق الوديان ، وامتداد السهول ، وطبيعة الأنهار والمستنقعات. وهكذا فعليه أن يعنى بجميع هذه الأمور ، بالغ العناية ، وهذه المعرفة العملية تكون لها فائدة كبيرة ومفيدة من ناحيتين : أولهما ، أن يعرف الانسان كل شيء عن بلاده وأن يقرر أحسن السبل للدفاع عنها ، وثانيهما ، أن معرفته وتجاربه فى منطقته واحدة تحمله على تفهم المناطق الأخرى التى يضطر إلى مراقبتها بسهولة» [2].

".. how mountains rise, how valleys open out and plains spread out, as well as with the characteristics of rivers and swamps, he should concern himself very

---

(1), (2) Cambridge texts.., ch: XIV, p. 53.

much with all these matters.

this practical knowledge is valuable in two ways, first, one learns well the terrain of one's own country, and understands better its natura defences; secondly, through knowing and exercising in the countryside, one easily grasps the charcteristics of any new terrain that must be explored.

ولما كانت هناك نطاقات كثيرة وتشابهات أحيانا فيما نجده عندنا وفى مناطق أخرى ، فانه تأسيسا على ذلك ذهب ميكيافيلى إلى أنه «هكذا يستطيع المرء عن طريق معرفته بإحدى المناطق ، أن يعرف أحوال المناطق الأخرى ، والأمير أو الحاكم الذى يفتقر إلى هذه الموهبة ، تنعدم فيه أولى الأساسيات التى يجب أن تتوفر فى الحاكم، اذ أنها هى التى تعلمه كيف يجد عدوه ، وأين يقيم معسكره ، وكيف يقود جيوشه ، ويخطط لمعاركه ، ويفرض الحصار على المدن، أخذا الفوائد إلى جانبه حتى يصل إلى النصر».

"Thus, knowing well the terrain of one region readily permits one to become familiar with that of other regions. A ruler who lacks much expertiso lacls the elements of generalship. For it enables one to tracl down the enemy, to encamp one's army properly, to lead an army towards the enemy, to prepare for battle, to besiege fortresses or fortified towns, in ways that

conduce to victory:.

ومما لاشك فيه أن «الحاكم» عندما يعرف «طبيعة البلاد» وتضاريسها ، ويدرس الجبال الموجودة فيها ويتعرف على عمق الوديان وعلى امتداد السهول وطبيعة الأنهار والمستنقعات الموجودة فى بعض المناطق أحيانا فإنه بذلك يتعرف على الأساسيات اللازمة للتحرك بالقوات على أرض المعارك وهى الأساسيات الضرورية لتحقيق النصر ، ومن التاريخ الحديث والمعاصر نجد الاهتمام العسكرى بهذه المسائل ، فقد اهتم نابليون بأن أحضر معه مجموعة من العلماء ليجمعوا المعلومات الهامة فى كتاب «وصف مصر» ويدرسوا طبيعة البلاد وتضاريسها والمناطق المختلفة وطبيعة الشعوب أيضا ، وقد أدى هذا فيما بعد إلى تطور علوم اجتماعية وعسكرية هامة نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر علم الانثربولوجيا أو علم الانسان والاستراتيجية.

وازدادت هذه المسألة أهمية حتى أصبحت الدول الكبرى تهتم باجراء المناورات المشتركة مع دول أخرى صديقة ، ومازال الهدف الأساسى هو مايرتبط بالجانب العسكرى وجمع المعلومات العسكرية عن مناطق مختلفة على أرض العالم كله ، وهذه المناورات المشتركة إن كان يستفيد منها الجندى الوطنى فإن الجندى الأجنبى والدولة الأجنبية تستفيد أكثر اذ هى تعود جنودها على القتال على أراضى أجنبية غريبة عنه ، مما يشجعه بصورة أفضل، كما أن هذه الدول تسعى فى أثناء ذلك إلى دراسة المناطق الجديدة وتتفهم خصائص الطبيعة والبيئة ودرجات الحرارة وخصائص التربة بل وترسم خرائط وقياسات وتجمع معلومات تفيد بها فى الحروب المستقبلة.

وقد أكد ميكيافيلى أن «الأمير العاقل هو الذى يعتمد على مايقع تحت

سلطانه لاتحت سلطان الآخرين» [١]

"A wise ruler should rely on what is under his own control, not on what is under the control of others".

رأي ميكيافيلي أنه عندما «يقوم السؤال عما اذا كان من الأفضل أن تكون محبوبا أكثر من أن تكون مهابا ، أو أن يخافك الناس أكثر من أن يحبوك» [٢].

"A controversy has arisen about this : whether it is better to be loved than feared, or vice versa.

فانتهى إلى القول : «ويتلخص الرد على هذا السؤال ، فى أن من الواجب أن يخافك الناس وأن يحبوك ، ولكن لما كان من الصعب والعسير أن تجمع بين الأمرين فإن من الأفضل أن يخافوك على أن يحبوك..» [٣].

"My view is that it is desirable to be both loved and feared; but it is difficult to achieve both and, if one of them has to be lacking, it is much safeo to be feared than loved.

---

(1) Cambridge texts.., ch: XVII (Cruelty and mercifulness; and whether it is better to be loved or feared), p. 61.

(2), (3) See : Gilbert, machiavelli's "Prince" and its forerunners, cambridge, mass, 1976, pp. 103-115 and see : cambridge texts, M. the prince, ch: XVII, p. 59. also see : N. wood "machiavelli's concept of virtu reconsidered, Political Studies 15 (1967), pp. 159-72

وذلك لأنه «لايتردد الناس فى الاسا ءه إلى ذلك الذى يجعل نفسه محبوبا ، بقدر ترددهم فى الاسا ءه إلى من يخافونه ، اذ أن الحب يرتبط بسلسلة من التزام، التى قد تتحطم ، بالنظر إلى أنانية الناس ، عندما يخدم تحطيمها مصالحهم، بينما يرتكز الخوف على الخشية من العقاب وهى خشيه قلما تمنى بالفشل» [1].

ولكن ينصح ميكيافيلى الأمير أو الحاكم بأنه من الأفضل له أن يكون محبوبا أيضا فى نفس الوقت الذى يكون فيه مهابا. ويشير ميكيافيلى إلى ذلك أنه يمكن للحاكم أن يكون مهابا ومحبوبا دائما بشرط أن «لايتدخل فى ممتلكات مواطنيه ورعاياه ، وفى نسائهم، أو أن يسعى لأن يحصل عليها* ، وعندما يضطر الأمير إلى سلب انسان حياته ، عليه أن يتوخى المبرر الصالح والسبب الواضح لذلك» [2].

".. And this can always be achieved if he refrains from laying hands on the property of his citizens and subjects, and on their womenfolk"

Men are less hesitant about offending or harming a ruler who makes himself loved than one who inspires fear. For love is sustained by a bond of gratitude which,

---

(1), (2) Cambridge texts in the history of political thought, machia velli, the prince, ch: XVII, p. 59.

* وردت هذه الفكرة فى معظم مؤلفات ميكيافيلى حيث نجدها فى «المطارحات».

see : Disc. III, p. 6 and p. 26.

also see : R. price, :the theme of gloria in machiavelli", Renais-Sance Quarterly 30 (1977), pp. 589- 602.

because men are excessively self- intrested, is broken whenever they see a chance to benefit themselves.

الحرب يجب ان تعتمد على طريقة الانسان وطريقة الحيوان معا :

وقد أشار ميكيافيلى إلى أن القتال له وسيلتان ، أو طريقتان ، طريقة القانون ، وطريقة القتال أو القوة ، والطريقة الأولى هى طريقة الإنسان ، والطريقة الثانية هى طريقة الحيوان ، ونبه إلى أن الحكماء القدامى قد أكدوا أهمية الطريقتان معا. أى طريقة الانسان وطريقة الحيوان، يقول ميكيافيلى فى هذا الصدد مخاطبا الحاكم أو الأمير :

«عليك أن تدرك أن ثمة سبيلين للقتال . أحدهما بواسطة القانون والآخر بالاعتماد على القوة ، ويلجأ البشر إلى السبيل الأول أما الحيوانات فتلجأ إلي السبيل الثانى. ولكن نظرا لأن الطريقة الأولى غير كافية لتحقيق الأهداف عادة ، فإن على الإنسان أن يجأ تبعا لذلك إلى الطريقة الثانية ، وهكذا فمن الضرورى للأمير أن يعرف استخدام الطريقتين معا ، أي طريقة الانسان وطريقة الحيوان ، وهذا هو مانصح به قدماء الكتاب الحكام فى الماضى ، مستشهدين بأخيل ، فقد أشاروا إلى اخيل Achilles وبعض الحكام القدامى الآخرون مثل هرقلس Hercules وثيسيوس Theseus واسكليبيوس Aesculapius وجاسون Jason حيث عهد بهم إلى شيرون القنطور Chiron the centaur الخرافى (حيوان) لتربيتهم وتعليمهم على نظامه، وهذا الرمز الخرافى ، نصف الانسان ونصف الحيوان للدلالة على أن الحاكم يحتاج إلى أن يستخدم الطبيعتان الانسانية والحيوانية وان الطبيعة الأولى أو أحداهما بدون الطبيعة الثانية

ليست ذات تأثير»[1].

"You should know, then , that there are two ways of contending one by using laws, the other, força.

The first is appropriate for men, the second for animals; but because the former is often ineffective, one must have recourse to the latter.

Therefore, a ruler must know well how to imitate beasts as well as employing properly human means. this policy was taught to rulers allegorically by ancient writers : they tell how Achilles and many other ancient rulers were entrusted to chiron the centaur, to be raised carefully by him. Having a mentor who was half- beast and half- man signifies that a ruler needs to use both natures, and that one without the other is not effective".

لقد ذهب ميكيافيلى فى أكثر من موضع فى مؤلفاته خاصة فى «الأمير» وفى «مطارحات» إلى افتراض أن الحاكم يجب أن يكون مستعدا دائما لأن يعمل

(1) Cambridge texts in the history of political thought, machiavelli, the prince, edited by: Quentin skinner and russell price, cambridge university press, cambridge, first published 1988, ch: XVIII (How rulers should keep their promises, p. 61. also see : m. colish, "Cicero's De officiis and machiavelli's prince, Sixteenth Century Journal, 9 (1978), pp. 81-94.

الشر evil إذا كان الخير good سوف يتأتى من خلاله وبواسطة وهكذا فالغاية تبرر الوسيلة دائما ، ومن المهم للحاكم أن يمتلك الخصائص التى تلائم روح العصر الذى يعيش فيه*.

ولما كان «الأمير» عليه أن يعمل «الشر» evil من أجل «الخير» good فانه يجب أن يجمع بين الانسانية والحيوانية وهنا نجده يقرر :

«وعلى الأمير الذى يجد نفسه مرغما على تعلم طريقة عمل الحيوان أن يقلد الثعلب والأسد معا ، اذ أن الأسد لايستطيع حماية نفسه من الاشراك والفخاخ ، والثعلب لايتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب. ولذا يتحتم على الأمير أن يكون ثعلب ليميز الفخاخ وأسدا ليرهب الذئاب .

وان أولئك الذين يلجأون ويعتمدون أو يستندونه على مجرد قوة الأسد لايفهمون المسائل الخاصة بالحكم» (١).

* A prince can only hope to attain his end if he manages to relate his ways of acting to the characted of the times.
- having the good forture to suit the spirit of the age.
- "shrewd enough to understand the times and circumstances".
- "prepared to vary his conduct as the winds of fortune and changing Circumstances constrain him".
see : N. Rubinstein, "the Beginnings of Niccolo Machiavelli's career in the florentine chancery, ITALIAN STUDTES II (1956), pp. 72-91.

(1) Cambridge texts, M. the prince, edited by quentin skinner and russell. price, ch: XVIII, p. 61.

"Since a ruler, then, must know to act like a beast, he should imitate both the fox and the lion, for the lion is liable to be trapped, whereas the fox cannot ward of wolves. One needs, then, to be a fox to recognise traps, and a lion to frighten away wolves. those who rely merely upon a lion's strength do not understand matters"

وهكذا أكد ميكيافيلى أنه الاستناد فقط على المكر أو البراعة on cunning لايشكل الرعب المشترك الذى يتأتى منه أنه يتحول الحاكم إلى أسد فى وقت ما وان يتحول إلى ثعلب فى أوقات أخرى وفقا لتغير الظروف (٢).

ولكن يجب أن يراعى الحاكم أن «أحسن فضيلة يمكن أن يمتلكها الحاكم أن يكون غير مكروها من شعبه» (ص ٧٥) وأن الحاكم الجديد الذى يرغب فى الابقاء على حكمه ودولته ودولة يجب أن «تجذب أى شيء قد يجعله مكروها أو محتقرا» (ص ٦٣)*

وكما نصح ميكيافيلى «الحاكم» أو «الأمير» بأن يفكر فى الحرب دائما ويعود جنوده وجسده على المران وملاقات الصعوبات والتدريب. فإنه أيضا يجب أن يمارس «المران الفعلى» mental exercise ويتم هذا من خلال قراءة التاريخ ودراسة أعمال الرجال البارزين وتقليدهم كما فعل الحكام المشاهير السابقين بتقليدهم للحكام الناجحين المشهورين ، وهنا نجده يقول :

---

(2) Also see : Disc II, p. 23.

* "The best fortress a rulers can have is not be hated by the people".
- A new prince who wishes to maintain his state must "avoid anything that will make him either hated or despised".

« أما بالنسبه للتدريب العقلي ، فعلى الأمير أن يقرأ التاريخ وأن يدرس أعمال الرجال البارزين ، فيرى أسلوبهم في الحروب ، ويتفحص أسباب انتصاراتهم وهزائمهم ، ليلقلدهم في هذه الانتصارات ، ويتجنب الوقوع في الأخطاء التي أدت إلى الهزائهم ، وأن يفعل ، كما فعل غيره من الرجال في الماضي ، من تقليد لشخص من الجديرين بالمديح ، والتمجيد ، وترك تأثيره وأعماله معروفه للجميع فيجعل من أفعاله وتصرفاته كنموذج يقتدي به لنفسه ، وهو مايقال أن الأسكندر الكبير قد فعله في تقليد أخيل ، وقيصر في تقليد الإسكندر ، وشيبيو في تقليد كورش . ولاريب في أن كل من يقرأ حياة كورش كما كتبها اكزونوفون ، سيرى في سيرة شيشنبو، مجاحه في تقليد سلفه ، وكيف تقيد تماما بصفات كورش التي عددها اكزونوفون والتي تقوم على كبح الغريزة والرأفه والكرم والعطف والانسانية والتحرر الفكرى والحاكم أو الأمير العاقل الحكيم يجب أن يسير وفقا لهذه الطرق وأن لايبقى ساكنا في الأوقات العادية (أوقات السلم) ولكنه يعمل على تقوية وضعه خلال هذه النشاطات بجد وجهد حتى إذا ماتحسنت الظروف والأوضاع ودارت عجلة الحظ أصبح مهيئا لكى ينتصر ويقهر المصاعب وأن يزدهر ويتألق»[1].

"As for mental exercise, a ruler should read

---

(1) See : cambridge texts in the history of political thought, machiavelli, the prince, edited by : Quentin skinner profesor of political science in the university of cambridge and fellow of christ's college and Russell price, sinior lecturer in politics, university of lancaster, cambridge university press, 1988, ch: XIVC (How a ruler should act concerning military matters), pp. 53-54. Also see : N. Wood, "Machiavelli's concept of virtu Keconsidered", Political Studies 15 (1967), pp. 162 - 167. and see : R. price, "The senses of virtu in machiavelli", European Studies Review, 3 (1973), pp. 315-345.

historical works, especially for the light they shed on actions of eminent men : to find out how they waged war, to discover the reasons for their victories and defeats, in order to avoid rereses and schieve conquests; and above all, to imitate some eminent man, who himself set out to imitate some predecessor of his who was considered worthy of praise and glory, always taking his deeds and actions as a model for himself, as it is said that Alexander the Great imitated Achilles, Caesar imitated Alexander, and Scipio imitated Cyrus. And anyone who reads the life of cyrus, written by xenophon, * will realise, when he considers scipio's life and career, how greatly scipio's imitation of cyrus helped him to attain glory, and how much scipio's sexual restraint, affability, hunmanity and generosity derived from his imitating the qualities of cyrus, as recorded in this work by xenophon. A wise ruler should act in such ways, and never remain idle in quiet times, but assiduously strengthen his position through such activities** in order that in adversity he will benefit

* Cyropaedia

**ملحوظة : نلاحظ أنه من الواضح أن ميكيافيلي قد رجع في ذلك إلى كل من الكتابات التقية مثل كتاب «الجمهورية» لافلاطون ولمؤلفات أكثر صرامة وهي المؤلفات التي أبرزت وأكدت المثل العليا والواجبات الخاصة بالحكام، كما نلاحظ ان سلوك الحكام نحاه رعاياهم subjects قد عالجه ميكيافيلي في شابتر XV شابتر و XVII كما عالج سلوكه مع حلفائه allies(amici) في شابتر XVIII

from them. thus, when his situation worsens, he will be well equipped to overcome dangers and to florish".

نبه ميكيافيلي إلى أنه ليس من هناك ماهو أشرف للحاكم من وضعه «للقوانين الجديدة» والتطبيقات الجديدة لهذه القوانين التي يبتكرها *.

وأكد ميكيافيلى على أهمية «العدل» كأساس للحكم حيث «يتمتع الشيء العادل دائما بالجمال، ويكون ضروريا ، وليس فى وسع أية قوة مهما كانت وحيثما جاءت أن تدمره أو تقضى عليه» وأكد أن الله قد هيأ للانسان كل شيء وعلى الانسان بعد ذلك أن يقوم هو بدوره فاعله أو «الخالق لايقوم بعمل كل شيء ليترك لنا المجال لارادتنا الحرة لكي تعمل ، ولكي يسمح للانسان ولنا بالجزء من المجد من حقنا ونصيبنا» **.

أكد ميكيافيلى فى كتاباته أن «الحروب الضرورية تكون حروب عادلة ، وعندما لايكون أى أمل فيما عدا السلاح فإن هذه الحروب أيضا تكون

---

* "Nothing brings so much honour to a new ruler as new laws and new practices that he devised"

** The sea has opened; a cloud has shown you the way, water flowed from the rock, manna has rained down here .

وكل هذه التخيلات تذكر وتعيد إلى الذهن رحلة اليهود من مصر إلى أرض الميعاد كما هو وارد فى نصوص كمبردج فى صفحة ٨٩ فى شرح الفصل رقم ٢٦ من كتاب الأمير حيث نجد بالنص :
"All these images recall the jonreny of the israelites from egypt to the promised land"
وبالطبع فان هذا يعطينا لمحه أو اشارة إلى أن ميكيافيلى كان متأثرا بالفكر والواقع اليهودى ومتعاطفا معهم، مما جعلهم الآن متعاطفون إلى درجة كبيرة مع أفكاره ويعتمدون عليها فى كثير من الأحيان بل فى أغلب الأحيان.

مقدسة»* وهكذا أوضح أن هناك من الحروب تلك الحروب التى يكون لها مبررها الأخلاقى.

شرح الفضيلة المرتبطة بمعاملة الحاكم للوزارة وحرصه علي حب الشعب له:

وكذلك أكد ميكيافيلى أهمية حب الشعب كأساس لمنع التآمر على الحاكم وأن هذا الحب أفضل بكثير وأهم من بناء القلاع أو هدم القلاع بالنسبة للحاكم. «فان أفضل قلاع يستطيع أن يتلكها الحاكم ألا يكون مكروها من قبل الشعب».

"The best fortress a ruler can have is not to be hated by the people".

Ch : XX (whether building fortresses, and many other things that rulers frequently do, are useful or not), p. 75.

فى علاقة الحاكم بالوزراء :

وقد ذهب ميكيافيلى إلى أنه فيما يتعلق بالسكرتارية (الوزراء) فإن الود بين الحاكم والوزراء أفضل بكثير من الابتعاد فالاتصال أساس النجاح، لكن

---

* "Iustum enim est bellum quibus necessarium, et pia arma ubi nulla nisi in armis spes est".
That means : "Necessary wars are; just wars, and when there is no hope except in arms, they too become holy".
See : ch: XXVI barbarian yoke), in cambirdge texts. M. the prince, p. 88.
Also see : H. Barson, machiavelli : the republican citizen and the author of the "prince", english historical review 76 (1961), pp. 217-253.

الوزير الذى ينشغل بمصالحه أكثر من انشغاله بمصالح الدولة لن يكون وزيرا صالحا، وبصورة عامة فإنه من أجل أن يضمن الحاكم ثقته فى وزيرة عليه أن يشرفه ويشبع مطالبه ، وباختصار يعامله لدرجة أن يشعر الوزير ويدرك أنه يعتمد كلية على الحاكم، حيث أن الحاكم يغدق عليه النعم حتى يصبح ليس فى حاجة للمزيد مما يجعله يخاف من التغيير ، أى يسعى إلى المحافظة على بقاء نظام الحكم.ويخشى من تغير النظام مما أسماه ميكيافيلى Le mutazioni.

ويقرر هنا ميكياڤيلى أنه «إذا حرص الحكام على تشييد العلاقات الطيبة مع الوزراء ، فان كلا منهما سيمتلك الثقة فى الآخر ، واذا لم يفعلوا كذلك فان المحصلة النهائية دائما أن أحدهما سوف يقع عليه الضرر».

"If ministers and rulers have such a relationship, then, each will have confidence in the other, but if they do not, the outcome will always be that one or the other is harmed" Ch : XXII, p. 81 in cambridge texts in the history of political thought, machiavelli, the prince cambridge university press, 1988.

وهكذا نجد مبادىء علم الإتصال، فالاتصال أساس النجاح ، وهذا بالطبع ماتؤكده الدراسات المعاصرة خاصة فى نطاق مايسمى فى الفكر السياسى المعاصر ، «بادارة الأزمات» وعلم الاتصال. وقد نبه ميكيافيلى إلى أن تحيز الحاكم للشعب وحرصه على حب الشعب له أفضل له بكثير من تحيزه للجنود أو القادة العسكريين وحرصه على ارضائهم كما أن تحيزه للنبلاء يفيده لكن بشرط أن يكون حذرا فى أن يحرص علي ألا تزداد قوتهم وعليه أن يستفيد من الظروف

لاضعافهم ويعمل على ألا تزداد قوتهم وعليه أن يلجأ أحيانا إلى الشر معهم من أجل صالح حكومته وصالحه وصالح الدولة ، ومن أجل خير الدولة بصورة عامة. ولهذا فان الخديعه مطلوبة أيضا واستخدام الشر مطلوب أحيانا من أجل الخير. (خير البلاد).

حول اسباب نجاح الحاكم واسباب فشله :

أكد ميكيافيلى أن من أسباب النجاح للحاكم أيضا أن يلحظ مقتضيات الزمن والظروف وبصورة عامة فإن اتخاذ الحياد فى أثناء الحروب بين الدول المجاورة ليس من صالح الحاكم لأنه من صالح الحاكم دائما أن يعلن بلا تحفظ عطفه على انسان ما ، وعداءه لانسان آخر ، وهذه السياسة أفضل دائما من البقاء على الحياد ، فالحاكم عليه أما أن يكون صديقا مخلصا ، أو عدوا لدودا. كما أنه يحرص على ألا يتحالف مع حاكم أقوى منه فى مهاجمة قوة أخرى إلا إذا كان مضطرا لأنه حتى بعد تحقيق النصر معا ، فإن مثل هذا الحاكم سيظل دائما تحت رحمة الحاكم الأقوى ولذلك على الحاكم أن يبذل غاية جهده لكى يتجنب أن يكون فى هذا الوضع.

A ruler should be careful never to ally himself with a ruler who is more powerful than himself in order to attack other powers unless he is forced to, for if you are victorious together, you will be at his mercy, and rulers should do their best to avoid being at the mercy of other powers. See : ch: XXI (How a ruler should act in order to gain reputation), p. 77.

إذ لاشك أن المنتصر القوى لايرغب فى الطريق الأضعف ، كما أن المهزوم لى يرحب بالحاكم الذى ساعد القوى على هزيمته. وهكذا يصبح هذا الحاكم هو الجائزة التى يحصل عليها الحاكم المنتصر أيا كان. (راجع ماقاله سفير انطيوخيوس إلى الاخيين Achaeans منهم مساعدتهم فى بلاد اليونان لطرد الرومان منها*).

* عندما حاول سفير أنطيونوس اقناع المجلس بأن يمتنع عن مساعدة الاتيوليين ويلزم الحياد رد عليه السفير الروماني بقول : «وليس أبعد عن الحقيقة ، مما استمعتم اليه من قول ، من الأفضل والأجدى لدولتكم عدم التدخل فى الحرب، اذ أن عدم تدخلكم فيها سيجعلكم مفتقرين إلى كل عطف وكل سمعه، بالإضافة إلى أنكم ستصيرون حتما الجائزة التى يحصل عليها المنتصر أيا كان»

"Quod autem isti dicunt non interponendi vos bello, nihil magis elienum rebus vestris est; sine gratia, sine dignitate, praemium victoris eritis'

"As for what they tell you, that it is better for you not to intervene in the war, nothing could be further from your interests; lacking help and dignity, you would be the prize of the victor" see : ch: XXI, p. 78. cambridge texts of the history of political thought, machiavelli, the prince.

رسائل وخطابات مرتبطة بالأفكار التى وردت فى كتاب «الأمير»

Letters relevant to "the prince"

الرسالة الأولى

حول ملاحظة افعال الرجال ومناهجهم المختلفة

١ - الرسالة الأولى من نيكولا ميكيافيلى إلى جيوفان باتيستا سودرينى. ١٥ سبتمبر ١٥٠٦

From Niccolo Machiavelli
To Giovan Battista Soderini.

الرسالة الثانية

٢ - الرسالة الثانية من نيكولا ميكيافيلى إلى صديقه فرانسيسكو فتورى. ١٠ ديسمبر ١٥١٣

From Niccolo Machiavelli
To Francesco Vettori.

الرسالة الأولى

(حول ملاحظة أفعال الناس ومناهجهم المختلفة)

رسالة نيكولاميكيافيلى إلى جيوفان باتسيستا سوردنى (فى ١٥ سبتمبر ١٥٠٦)

Niccoloi Machiavelli to Giovan Battista Soderini, 15 September 1506

أرسل ميكيافيلى هذه الرسالة قبل أن يكتب كتاب الأمير بحوالى سبع سنوات وكان ميكيافيلى قد أرسل الرسالة إلى باتسيستا سودرينى Piero's nephew وكان يقصد أن يقرأها Piero soderini فور سقوطه من الحكم والسلطة . وقد أثبتت الدراسات كما أشرت أن الرسالة أرسلها ميكيافيلى إلى باتيستا سودرينى Battista Soderini ابن أخت بياروسودرينى أحد الحكام المشهورين فى ذلك الوقت وكان باتيستا شابا صغيرا لايزيد عمره عن ثمانى عشر عاما ، فليس من المعقول أن رجلا عمره سبع وثلاثون عاما (هو ميكيافيلى) يرسل إلى شاب عمره ثمانى عشر عاما ويكون متشوقا لأن يتعرف على رأى هذا الشاب فى مسائل تتصل بالأسباب الخاصة بالنجاح الإنسانى والفشل الانسانى.

On the reasons for human success and failure.

ولقد وردت هذه الرسالة فى طبعة جاتا Gaeta عن رسائل ميكيافيلى[١] (كذلك وردت الإشارة اليها فى نصوص جامعة كمبردج فى تاريخ الفكر السياسى).

---

(1) Franco Gaeta, Machiavelli;s Lettere (turin : U. T. E. T, 1984) , pp. 239-245.

ويذكر ميكيافيلى لصديقه جيوفان باتيستا سودرينى Giovan Battista sodermi أن رسالة قد وصلت من هذا الصديق فى شكل متخفى in a disguised form ويقـول : ولكننى بعد أن قـرأت عشـرة كلمـات عـرفت أنهـا رسالتك . وأنا بالتأكيد أفكر فى أنه فى بيمبينو at Pimbino هناك كثير من الناس الذين سوف يعرفونك ، وقد كنت حذرا جدا من العوائق impediments التى تلقاها انت دفيليبو دى بانكو Filippo di Banco . صديق جيوفان باتيستا وكـان ينتوى أن يقدم برحلة معه إلى بمبينو - لأننى أعـرف أن أحدكم تعـوزه الحـاجة إلى الضـوء. وأن الآخر عنده منه الكثيـر. (كـان سـودرينى قـال لميكيافيلى ذات مرة فى أحد رسائله أن أحدهما يتتبع النجم ويعتمد على ضوء النجوم وأن الآخر ويسير على هدى ضـوء الشـمس*) بمعنى أن أحـدهم يعـيش متخفيا والثانى تعيش علانية.

لذلك يقول ميكيافيلى فى رسالة لجيوفان بتيستا سوردينى ، «أننى أعرف أنه أحدكم معاقا بالافتقـار إلى الضوء والآخر لديه من الضـوء الكثيـر (بسبب مراقبة الحكومة لهما وتتبع المخابرات السياسية لتصرفاتهما) ويخبر ميكيافيلى صديقه بأنه يمكن أن يقوم بالرحلة معهم فى فبراير وأنه يأسف للغاية لأن يعلم بمخاوف نيلبو وأنه يود أن يعرف النتائج بشغف. ثم يقول : «ان خطابك لى كان قصيرا ولكننى ما أن قرأته عدة مرات حتى بدا لى طويلا».

"You letter was short but since read it several times it seemed long"

---

* One of them was holding the star and the other the sun.
وهنا معناه أيضا أن أحدهم تعوزه الخبره والدهاء والآخر داهية يستطيع أن يتصرف.

ويقول ميكيافيلى : «ان افتقارى إلى الخبراء جعل الأمر صعب على لكى أفسر هذه الرسالة».

"My lack of expertise makes it hard for me to intepret".

«لقد فرحت ورحبت كثيرا بهذه الرسالة لأنها دفعتنى لكى أفعل ماكرست نفسى كى أفعله كما أنك نبهتنى وذكرتنى».

"It was very welcome because it has spurred me to do what I have delayed doing, as you have reminded me".

ويذكر ميكيافيلى لصديقه : أنه «لاشىء الآن يدهشنى كثيرا ، ويجب أن اعترف أننى استمتعت بالقراءة حول : ملاحظة أفعال الناس ومناهجهم المختلفة».

"Consequently, nothing now surprises me very much, and I must confess to having enjoyed readinf about observing men's actions and their different methods".

ويقول ميكيافيلى لصديقه : «أننى أعرفك جيدا وأعرف النطاق والمعيار الذى يوجه مرورك عبر الحياة ، واذا كان هذا المعيار (النطاق) له أن ينقد ، مما لن يكون أبدا ، فإننى على أية حال لن أوجه له أى انتقاد ، فاننى أرى إلى أى مدى قد أدى بك هذا المعيار. كما أعرف ماهى الأمال التى تصبو أنت إليها». ports

ثم يقول ميكيافيلى «اننى انظر إلى سلوكك ليس من وجهة نظرك أنت (حيث تراها فقط باعتبارها حكيمة) ولكن كما ينظر إليها من وجهه نظر الجماهير ، التى تحكم على افعال الناس من خلال نتائجها وليس من خلال الأساليب المستخدمة*. (إن كل انسان يتصرف وفقا لأفكاره الخاصة). وهناك العديد من الأساليب الخاصة بالفعل قد يكون لها نفس النتيجة ، وهناك ممرات مختلفة تؤدى إلى نفس المكان، كما أن الكثير من الناس الذين يعملون وفقا لأساليب مختلفة يحققون نفس النتائج ، واذا كانت وجهة النظر هذه تبدوا مشكوكا فيها ، فإن أفعال البابا وعواقب هذه الأفعال قد أثبتت هذه المسألة وعززتها».

"I know you well and what compass guides your passage through life, and if it is criticised, which it would not be, I at any rate shall not criticise it, seeing to what ports it has led you, and whast hopes can be entertained of you.

Hence, I am looking at your conduct not from your own point of view (which sees it only as beeing prudent) but as it would be seen by the masses, who have to judge by the results, not by the means employed. (everyone acts according to his own ideas) various courses of action may have the same outcome, there are

* «الجماهير تحكم على أفعال الناس من خلال نتائجها وليس من خلال الأساليب المستخدمة» وهذه الفكرة رددها ميكيافيلى أكثر من مرة فى كتاب «الأمير» وفى المقالات.

different paths leading to the same place, and many men who operate differentlty achive the same results; and if this view of things seemed doubtful, the actions of this pope and their conseqences have confirmed it"

ويواصل ميكيافيلى رسالة إلى صديقه جيوفان باتيستا سوردينى فيقول له : «لاتنصح أي انسان ، أو تأخذ نصيحة من أي انسان، إلا فى نطاق الدلالات العامة ، فان كل انسان يجب أن يفعل وفقا لما تتوجه وتتحرك إليه روحه وتوجهه بتهور وجرأة»*.

"Do not advise anyone, or take advice from anyone, except in very general terms; everyone should acts as his spirit moves him and audaciously".

ويقول ميكيافيلى فى رسالة لصديقه : «ان كل من هانيبال Hannibal وسكيبيو Scipio كانا ماهران الاثنين بنفس القدر كما أنهما قد أبقيا على النظام العسكرى ، military discipline وقد أبقى الأول (هانيبال) -Han nibal جيشه متحدا فى ايطاليا فى الوقت الذى كانت أفعاله قاسية، وغادره ولاتنفق على الإطلاق مع المبادىء الدينية* ، مع أنها كانت تلقى الرعب والرهبة من الشعب وبكل فئاته ، ذلك الشعب الذى ثار على الرومان ثم أعطى ولاءه لهانيبال . كما أن سكيبيو Scipio** الذى كانت أفعاله فى أسبانيا بما يتفق

* Trough acting cruelly, treacherously and with a complete disregard of religious principles and was regarded with awe by various peoples.
** Scipio, who acted in spain with humanitly and trustworthiness and followed the principles of religion, was regarded in the same way by the people there and both of them won countless victories.

مع المبادىء الاسـاسيـه والوفـاء والإخلاص ، واتبع مبادىء الدين وكـان مـرهـوب الجـانب من الشـعب فى أسـبـانيـا وبنفس القـدر وقـد كـسب كل منهـمـا وحـقق انتصارات لاحصر لها »

- افضل القلاع التى يستطيع الحاكم ان يبنيها هى حب الشعب له:

- الحكام الجدد من الشباب واهمية المغامرة والجراة والتكيف مع الايام :

ثم يتجه ميكيافيلى إلى مناقشة صديقه فى مسألة أهمية استخدام القلاع وبناء القلاع أو هدمهـا كحـماية للدولة، ويشير إلى بعض الأمثلة التاريخية ويتكلم معـه عن مسـألة تسليح الشـعب أو نزع السـلاح منه. أهمـيـة المغـامره وعلاقـتها بالحظ خاصة نحو الشباب من الحكام الجدد. وهنا نجده يحدث صديقه عن لورنزو ألمدس Lorenzo de medici المشهور بإسم لورانزو العظيم.
Lorenzo the Magnificent

«الذى اعـتقد بأنه من الأفـضل أن ينزع السلاح عن الشـعب لكى يتـمكن من أن يقبض على حكم فلوارنس. بينما قام الحاكم جيوفانى بنتيفوجليو Giovan-ni Bentivoglio بتسليح الشعب لكى يتمكن من السيطرة والقبض على حكم بولوجنا »*.

"Lorenzo dé medici thought it well to disarm the people in ordeo to hold florence, whereas messer giovanni bentivoglio armed the people in order to hold bologna.

---

*عالج ميكيافيلى هذه الأفكار فى كتاب «الأمير» فى الفصل العشرين تحت عنوان :
Whether builiding fortresses, and many other things that rulers frequently do, are usful or not, pp. 72-76.
See : H. Baron, Machiavelli the republican citizen and the author of the "Prince", English Historical Review 76 (1961), pp. 217-53.
يميل ميكيافيلى هنا إلى الاشارة إلى ماأشار إليه فى كتابه «الأمير» عندما ذهب إلى أن الحاكم ينجح طالما كانت أساليبه تتفق مع الظروف، أما عندما تتعارض أساليبه فإن الفشل يكون من نصيبه، ويميل أيضا إلى تأكيد ماقاله فى «الأمير» حيث قال : «وإنى لاعتقد أنه من الأفضل أن تكون طموحا عن أن تكون حذرا . ذلك لأن الحظ كالمرأة . فإن أردت السيطرة عليها، فعليك أن تملكها بالقوة وأن تعاملها بخشونة وقسوة، وهى بدورها تسمح للرجل الشجاع، لا للملك الذى يسير بتمهل وأناة . والحظ شأنه فى ذلك يميل دائما إلى الشباب . لأنهم أقل حذرا وأكثر ضراوة . ويتملكونه بطموح واقدام . فهم يعاملون المراة بأقدام وجرأة».
" I certainly think that it is better to be impetuous than cautious, because fortune = =

ثم يقول ميكيافيلى لصديقه : «لقد قام نيكولا فيتيلى Niccolo Vitelli فى ستيادى كاستيلو والحاكم الحالى فى أربينو Urbino بتدمير القلاع فى مناطقهم لكى يحافظون على القوة (السلطة) بينما قام الكونت فرانسيسكو Count Francesco فى ميلان Milan وحكام آخرون كثيرون، ببناء القلاع فى مناطقهم لكى يحمون أنفسهم»[1].

"Vitelli in citta di castello, and the present Duke of Urbino, destroyed the fortresses in their territories in order to keep power, whereas count francessco in milan, and many others, have built them in their territories in order to protect themselves".

ويقحم ميكيافيلى فى رسالته هذه لصديقه أحدى المقولات التى يقول بها كبار السن دائما وهى : «قم بالمغامرة لأن الحظ يميل دائما إلى الاتجاه نحو شباب الرجال ، وتكيف مع الأيام، ولكن الانسان لايستطيع أن يجمع بين أن يمتلك القلاع وأن لايمتلكها، ولا أن يكون قاسيا ولطيفا».

"Take risks because fortune is well disposed towards young men, and adapt to the times. But one cannot both have fortresses and not have them, nor be both cruel and merciful".

= = is a woman, and if you want to control her, it is necessary to treat her roughly. And it is clear that she is more inclined to yield to men who are impetuous than to those who are calculating. since fortune is a woman, she is always well disposed towards young men, beccause they are less cautious and more aggressive, and treat her more boldly". See : ch: XXV (How much power fortune has over human affairs, and how it should be resisted), p. 87 in cambridge texts in the history of political thought, machiavells, the prince, 1988.

ونلاحظ أننا نجد فكرة ارتباط الحظ Fortuna بالشباب معبرا عنها، فى بعض كتابات ميكيافيلى الأخرى مثل المسرحية التى كتبها بعنوان «كليزيا» See : Machiavelli's play clizia, IV, I.

(1) See : CAMBRIDGE TEXTS IN THE HISTORY OF POLITICAL THOUGHT, NICCOLÓ MACHIAVELLI To Gioven Battista Soderini, 15 September 1500, p. 97.

تانتار لافورتيا Tantare La Fortuna

قم بالمغامرة وخذ بالمبادرة Take Risck

اسرق الحظ : جازف وغامر

ونلاحظ هنا أن ميكيافيلي قد ردد هذه الفكرة أكثر من مرة في أكثر من مؤلف له. وهو هنا يذكرنا بما أشار إليه في كتاب «الأمير» عندما قال أن لكل انسان طباعه وتفكيره وأنه لايستطيع أن يتخلى عن خصائصه وهذا يرتبط بسر النجاح أو الفشل في أحيان كثيرة. كما أنه يذكر أيضا هنا بالمقولة التي نجدها - كما سبق أن أشرت - في نصيحة كبار رجال السن عندما يقولون : «جازف» ويقولون : «قد فاز باللذات كل مجازف».

ولاشك أن ميكيافيلي هنا عندما يقول : Take Risks يشير إلى مايتمسك به كبار السن من خبرتهم الطويلة التي تذهب أحيانا إلى أن المغامرة مطلوبة في الحياة، و «الأخذ بالمغامرة هنا» يرتبط بالفكرة القديمة التي تقول بأن على الإنسان أن : «يسرق الحظ» أي ينتهز الفرصة مما أشار إليه ميكيافيلي وتشير إليه العبارة الايطالية القديمة :

Tantare La Fortuna

ويستطرد ميكيافيلي في رسالته إلى صديقه فيشير إلى أن الامبراطور تيتوس Emperor Titus «اعتقد بأنه سيفقد قوته اذا مر عليه يوما دون أن يفيد انسانا آخر، واعتقد الأخرون (من الحكام) بأن إفادة أي انسان آخر قد يقوض قوتهم»*. ونجد ميكيافيلي بعد ذلك يشير إلى صديقه في رسالة إلى أن:

«الكثير من الناس يحققون أهدافهم بأن يتوخوا الحذر والاحتراس، ولكن

---

* "The emperor titus (titus flavius sabinus) thought he would lose power if a day pased without his having benefited someone; others have thought that benefiting anyone would undermine their power.

عندما يكون حظهم سيئا ، فإن الناس والعائلات والمدن تتحول إلى الأحزان»* ان نجاح كل شخص يتوقف على كيفية تصرفه، وعندما يتحول الانسان إلى سوء الحظ فإنه يرجع ذلك إلى وسائله ومناهجه ، وهكذا بالنسبة إلى مسألة القلاع. وهنا فإن ميكيافيلي يريدان يشير إلى أن حرص الانسان لايمنع عنه أحيانا سوء الحظ.

وهنا نجد ميكيافيلي يقارن بين الحصان والشكيمه the horse and bit بمسألة أهمية القلاع بالنسبة للحاكم فالحصان قد يثور ويجنح برغم وجود الشكيمة في فمه . بما يتفق مع المقولة الشائعة القديمة «الحذر لايمنع القدر» وهذا ينطبق أيضا على القلاع.

ويستطرد ميكيافيلي في خطابه إلى صديقه قائلا :

«ان البابا الحالي الذى لايمتلك كفتي ميزان ولايمتلك محك أو مقياس فى بيته ، (بمعنى أنه متهور ولايزن الأمور لأن الذى لايزن الأمور أو المواقف بعناية وحرص يعتبر متهورا** والذى يفتقر إلى قواته الخاصة، فإنه من خلال الخط المحض يحقق ماهو صعب التحقيق حتى بالاعتماد على قوة عسكرية فعالة أو

---

*"Many men achieve their ends by acting very cautiously. As their luck runs out, men families, cities come to grief".

ملوك طردوا وعادوا إلى الحكم مرة أخرى :

Guido Ubaldo, Duke of Urbino

طرد من اربينو فى يونيو ١٥٠٢ وعاد إليها فى أكتوبر ١٥٠٢ أى بعد أقل من أربعة شهور.

Giovanni Bentivoglio

الذى طرد من بولونيا Bologna بواسطة جوليوس الثانى Julius II فى ١٥٠٦ وعاد إلى الحكم من جديد فى ١٥١١ وهدم القلاع التى بناها جوليوس فى بورتا جاليريا Porta Galiera.

** Who does not weigh up situations carefully, who is imetuous.

بالتصرف والفعل وفقا للطرق القويمة»* وهنا يقد أيضا ميكيافيلى أن الحظ له دور فى كثير من الأحيان.

العبره بالنتيجة النهائية والغايه تبرر الوسيله :

ويقول ميكيافيلى لصديقه جيبوفان باتيستا سودرينى Giovan Battıs-ta Soderini : «ان كل الرجال الذين ذكرتهم فيما سبق ، وآخرون لاحصر لهم يمكن ادراجهم، قد اكتسبوا الملكيات والمناطق (ومازالوا يفعلون هذا) ، وأحيانا يفشلون عندما تقوم حوادث غير متوقعة. وأحيانا فانهم ينجحون فإن طرائقهم وأساليبهم أو مناهجهم تمتدح، وعندما يفشلون بالاعتماد على نفس الأساليب ، فإنهم ينتقدون بشده. وأحيانا فإنه عندما يفشلون بعد النجاح والازدهار لفترة طويلة، فإننا نجد أنه لالوم على الإطلاق أو نقد يوجه إليهم، ويرجع الناس فى هذه الحالة الفشل إلى ارادة السماء ، أو الارادة الألهية وإلى عواقب القدر. أننى لاأعرف لماذا يحدث أن نجد أن الطرق المختلفة للفعل أو التصرف تكون أحيانا فى كل مرة ناجحة وتكون أحيانا أخرى غير ناجحة.

ولكن بالتأكيد أرغب وأحب فى أن أعرف . وأننى سوف أكون متجرئا جدا لأن أعرض عليك رأيى فى نطاق هذه المسألة حتى أتعلم ماذا تعتقد فيه أنت»**.

---

* "The present pope, who has neither a pair of scales nor a yardstick in his house and lacks his own forces, through sheer good luck achieves what it is very difficult to achieveen with effective even with effective military forces and by acting in orderly way.

** عالج ميكيافيلى هذه المسألة فى الشابتر رقم (٢٥) «إلى أى درجة تكون قوة الحظ فى نطاق الشئون الانسانية وكيف يمكن مقاومتها» حيث ذهب إلى أنه يرى أن الانسان يمكنه ان يرجع إلي القدر التحكم فى نصف اعمالنا وان يترك النصف الاخر او ما يقرب من ذلك لنا لنتحكم فيه بأنفسنا. ونلاحظ هنا فى هذا الفصل من كتاب (الأمير) أن ميكيافيلى شبه القدر بالأنهار الخطيرة التى تثور فجأة وتندفع بقوة مما يسبب السيول التى تقتلع الأشجار وتجتث الأرض ويهدم ويغرق = = = =

"All the above - mentioned men. and countless others who could be cited, have acquired kingdoms or territories (and still do so) , and sometimes fail when unexpected events occur. sometimes when they have succeeded their methods have been praised, and when they failed the same methods were criticised severly . And sometimes when they faild, after flourishing for a long time, no criticism at all was levelled at them, and it was said to be the will of heaven and a consequence of fate. I do not know why it should happen that different ways of acting are sometimes both successful and sometimes both unsuccessful, but I would certainly like to

---

البيوت والمحاصيل فيفر الناس من أمامه دون ان يتمكنوا من مقاومته ورأى ميكيافيلى ان هذه هى حالة القدر عندما تنعدم الاستعدادات له وتنعدم الاجراءات لمقاومته كما يحدث فى ايطاليا. ولايحدث بنفس القدر فى ألمانيا وأسبانيا وفرنسا حيث توجد الاستعدادات للفيضان مما يخلف من حدة التبدلات العظيمة التى تقع نتيجة لقيام ثورة النهر وفيضانه. وهذا ينطبق على القدر. وقد انتهى ميكيافيلى من هذا إلى أننا «نرى اليوم أميرا معينا مكللا بالسعد والهناء، ثم نراه غدا وقد تحطم دون أن نلمح أو نرى فيه تبدلا فى طبيعته أو فى قدراته وخصائصه . ونبه ميكيافيلى أنه يتصور أن السبب فى ذلك هو أن هذا الأمير قد ارتكن كلية إلى القدر فحطمه القدر عندما دارت عجلته بعيدا عن الحاكم . ونبه ميكيافيلى أنه يعتقد فى نجاح الحاكم الذى تتفق طريقة اجراءاته مع مقتضيات الزمن، كما أنه يعتقد بفشل وتعاسة الحاكم الذى لايتكيف مع الزمن، وتتعارض اجراءاته مع مقتضيات الزمن.

See : ch: XXV (How much power fortune has over human affairs, and how it should be resisted), p. 85.

Also See: R. Price, "The senses of virtu in Machiavelli", European Studies Review 3(1973), pp. 315 - 345.

know.I shall be so bold as to offer you my opinions on this matter so that I can learn what you think*".

ويستطرد ميكيافيلى قائلا لصديقه :

« اننى اعتقد أنه تماما مثلما تجعل الطبيعة الرجال لهم وجوه مختلفة، فإنها أيضا تنتج أنواعا مختلفة من العقل والمزاج ، وتأسيسا على ذلك فإن كل انسان يتصرف ويفعل وفقا للميل والنزعة الخاصة بعقله ومزاجه».

ثم يقول : «وعلى هذا مادامت الأbمنة والظروف تتنوع وتختلف، فان بعض

---

* See : Cambridge texts in the history of political thought, Machiavelli, the prince, edited by: quentin skinner professor of political science in the university of cambridge and fellow of christ's college and russell price, senior lectures in politics, university of lancaster, cambridge university press, first published 1988, A ppendix A, letters relevant to the prince, 3 Niccolo maachiavelli to giovan battista sodrini, C. 15 september 1506, pp. 97-98.
ونلاحظ هنا أن ميكيافيلى يقول فى «الأمير» بنفس الأفكار حيث يقول على سبيل المثال فى «الأمير» :

* I would observe that one sees a ruler flourishing today and ruined tomorrow, without his having changed at all in character or qualities.
* Namely that a ruler who trusts entirely to luck comes to grief when his luck runs out.
* I believe that we are successful when our ways are suited to the times and circumstances, and unsuccessful when they are not .
أأننا نرى أميرا (حاكما) مكللا بالسعادة والنجاح والهنا ،، ثم نراه غدا وقد تحطم دون أن يتغير على الإطلاق أي من طبيعة أو قدراته أو خصائصه - أن الأمير الذى يرتكن كلية إلى الحظ أو القدر يحطمه القدر ويتحول إلى الأخران عندما يتخلى عنه الحظ أو القدر - وأننى اعتقد باننا ننجح عندما تكون طرائقنا متناسبة ومناسبة للزمن ومتمشية معه ومع الظروف ونفشل عندما لاتكون طرائقنا مسايرة للزمن ومجارية للظروف) . وهكذا يؤكد ميكيافيلى أن قوة الحظ أو القدر تختلف باختلاف درجة الفضيلة (ويرتبط بها ان يكون الانسان مستعدا أو متوقعا) فى الوطن.
"The power of fortuna varies according to how much virtu there is in a country".
ونلاحظ هذا القول يتفق مع القول المعاصر بأن أفضل استراتيجية أن تكون الدولة مستعدة دائما.

الرجال تحقق أهدافها كلية ، اذا كانت طرائقها فى الفعل متناسبة وملائمة ومتفقة أو متمشية مع الزمن. ومن ناحية أخرى ، فان الرجل الذى تكون طرائقه وأساليبه غير متمشية أو متناسبة مع الزمن ومع الظروف فانه سوف لايحقق النجاح».

"I believe that just as nature makes men with different faces, it also produces different kinds of mind and temperament consequently, every man acts in accordance with the bent of his mind and temperament thus, since the times and conditions vary, some men achieve their aims completely, if their ways of acting are appropriate for the times. On the other hand, a man whose ways of acting are ill- suited to the times and circumstances will be unsuccessful"

ثم يواصل ميكيافيلى شرحه لصديقه فى خصوص هذه المسألة فيقول له :

« انه قد يحدث أن يحقق رجلان نفس النتائج مع أنهم يتصرفون ويفعلون بطرق مختلفة، حيث قد تكون كل طريقة من الطريقتان متفقه ومتمشيه مع الظروف التى يجد كل منها فيها نفسه، ويحدث هذا بالنسبة للدول حيث تختلف الظروف بطريقة كبيرة من دولة إلى أخرى. ولكن نظرا لأن الأزمنة والظروف تتغير غالبا (بصورة عامة وفى أماكن خاصة بالذات) مع أن الناس لاتتغير أو تغير من أفكارها أو مناهجها . فانه يحدث أن ينجح الانسان (الحاكم) أحيانا ويفشل فى أوقات أخرى. وفى الحقيقة فان أى انسان حكيم بالقدر الكافى لكى يفهم الأزمنة والظروف، وقادر على التكيف معها يستطيع أن يكون ناجحا دائما وأنه على

الأقل يستطيع أن يكون قادرا على أن يتجنب الفشل ، وعندئذ فانه من الصدق أن تقول أن الرجل الحكيم يستطيع أن يضبط النجوم ويتحكم فى القدر. ولكن مثل هذا الرجل الحكيم غير موجود، أولا ، لأن الناس نظرتهم قصيرة، وثانيا لأنهم لايقدرون على أن يغيروا من طبائعهم وأخلاقهم وخصائصهم. ويترتب على ذلك أن النجاح (أو الحظ) يكون متغيرا ومتحكما فى الرجال مما يجعلهم دائما تحت تحكمه وسيطرته» وانثى اعتقد بأن هذه الأمثلة تدعم النتيجة التى توصلت اليها والخلاصة التى أريد ان أشير لها.

ونريد هنا أن نعلق على الفترة السابقة حيث نلاحظ أن ميكيافيلى يستخدم كلمة Fortuna بمعنيان فهى تعنى الحظ Luck سواء بمعنى Good أو بمعنى Bad كذلك تعنى النجاح Success فالحاكم الذى يفقد القوة قد يقنع أو يميل إلى أن يندب حظه السيء بدلا من ادراكه لجهالته وأخطائه Ignavia وأنه كان كسولا Slothful فى الاستفادة من الأوقات الهادئة (أوقات السلم) فى بناء قوته الخاصة* رتقوية دفاعاته ، وفى هذه الظروف فان ميكيافيلى يرفض نداءات الحظ Fourtuna بتقديمه لهذا الشرح الذى يكشف عن أسباب سقوط الحكام. وأكثر من ذلك فانه يرفض الاعتماد على سياسة (الارتكان أو الاعتماد كلية على الحظ**).

The policy of appoggiarsi tutto in sulla fortuna

---

* See : T. Flanagan, "The concept of fortuna in machiavelli', in the political calculus, A. parel (toronto, 1972), pp. 127-156.

** راجع كتاب «الأمير» لميكيافيلى الفصل الخامس والعشرين ch : XXV,
How much power Fortune has over human afairs, and how it should be rested, p. 85 in cambridge texts in the history of political thought, machiavelli, the prince, by quentin skinner and russell price, cambridge university press, 1988, p. 85.

وقد نبه ميكيافيلي إلى أن هذه السياسة تؤدي إلى دمار الحاكم ، فهو عندما يتكلم عن pz (أو نجاح) الاسكندر نجده يعني ويقصد ازدهاره ومكانته المتألقة ، فهو يرى (ميكيافيلي) أن دعم هؤلاء الذين يمنحون القوة والسلطة أو الحكم أو الدولية يتطلب قوة الارادة good will والازدهار (Volunta and Fortuna) prosperity or floourishing وهكذا ينبه ميكيافيلي - كما أشرت - إلى أن الاعتماد على الحظ والارتكان عليه بمثابة اجراء يؤدي إلى الدمار a recipe for ruin ولكن (الحظ) أحيانا يعني الوضع الاجتماعي المنخفض denotes a low social position بالايماء إلى مايتطلبه الأمر لكي يصبح الانسان حاكما. فالرجل أو الانسان الذي يعيش في نطاق حظه الخاص Privata Fortuna حيث لاتكون عائلته منغمسه أو متضمنه In-volv ed أو مشهورة Prominent في الحياة العامة، ان مثل هذا الحاكم دائما تكون فرصته في امتلاك القوة ضعيفة. مالم يكن هو بصفه استثنائية متميزا بقدرات خاصة وقادرا على ذلك. وقد أشار ميكيافيلي أن هذا ينطبق على اجاثوكلس Agathocles السيشلاني ملك سيراكوس King of syracuse الذي كان أبوه (والده) خزافا Pooter مما جعل حظه Fortuna أو موقفه أيضا منخفضا وخسيسا*.

Infima et abietta (of the lowest and most abject origins)

---

(١) وقد وردت هذه الأفكار في «الأمير» راجع «نصوص كمبردج في تاريخ الفكر السياسي».
Ch: VIII (those who becomes rulers through wicked means), p. 30
See : J. Mack. "La Fortuna" chez Machiavel", Le Moyen Age, 77 (1971), pp. 305-27, 493 - 524.

وهكذا يعنى الحظ النجاح success أو الفشل Failure وقد أكد ميكيافيلى أكثر من مرة أنه : مادامت الظروف تتغير فان الحظ يتغير أيضا.

(Since circumstances vary) Variando La Fortuna.

ولذلك كان ميكيافيلى دائما يركز على أهمية أن يتكيف الحاكم مع الزمن ومع الظروف. ولايفوتنا أن ميكيافيلى كان يهتم أيضا بفكرة المناسبة أو الفرصة Opportunity والمناسبة عنده Occasione من الكلمة اللاتينية accasio تشكل اصطلاحا مرتبطا جدا بفكرته عن الحظ Fortuna وفكرته عن التصرف الجيد أو الفضيلة Virtu وقد ناقش ميكيافيلى هذه الفكرة فى «الأمير»* حيث ناقش مسألة الرجال اللذين يصبحون عظماء بالاعتماد على فضائلهم الخاصة وقدراتهم الخاصة وقواتهم الخاصة. وفى تقدير ميكيافيلى فإن هؤلاء الحكام لايرجعون للحظ أي شيء سوى «المناسبة» Occasione والمناسبة هنا تفى الظروف والأحوال المتناغمه والمتفقه مع مشروعاتهم أو مغامراتهم.

(Conditions or circumstances favourable to their enterprises)

فالظروف أو المناسبة المتناغمة مسألة ضرورية للحاكم لكى يحقق أهدافه ، فاذا افتقر الحاكم للفرصة opportunity أو ما أسماه ميكيافيلى (المناسبة) "Occasione" فان قوة روحه وفضيلته تتعطل وتضيع»

---

* See: Cambridge Tests in The History of Political Thought, Machiavelli, The Prince, edited by: Quentin Skinner and Russell Price, Cambridge University Press, Cambridge, New York, Melbourne, 1988, Ch · VI (new principalities acquired by on's own arms and ability, pp. 19-22. See also : Disc. II, 2.

'"La virtu dello animo Loro"**

ان الحاكم اذا امتلك الفضيلة وامتلك «المناسبة» أو «الفرصة» فان قوة روحه وفضيلته تتألف وتلمع.

لكن الحاكم إذا افتقر للفضيلة*virtu (من الكلمة اللاتينية virtus) التى تعنى عنده «الخصائص الطيبة الجيدة» (good qualities) مما يرتبط بالاستعداد دائما فإن الفرصة أو (المناسبة) تكون قد ضاعت وفقدت»**
"the opportunity would have been wasted" (occasione)
وقد ذهب ميكيافيلى إلى القول بأن الرجال الذين لهم مقدره بارزة ورائعة eccelente virtu يكون لهم قدرة على ادراك الفرص واستغلالها.

وعندما نعود إلى خطاب ميكيافيلى إلى صديقه جيوفانى باتيستا سودرينى نجده فى النهاية يقول له «وأن التشوه والقدر والتخلى عن مبادىء الدين يزيد من سمعة ومكانة prestige الحاكم الجديد للدولة فى حين أن الانسانية والإخلاص والوفاء معهم والتصرف وفقا لقواعد الدين ومبادئه قد تسببت فى حجب القوة عن

** Also see : J. H. whitfield, "The Anatomy of virtue", in Machiavelli, (oxford, 1947), pp. 92-105. and see : N. wood, "Machiavelli's concept of virtu reconsidered", political studets 15 (1967), pp. 159-115.

* الفضيلة لها معانى مختلفة ومرتبطة ببعضها فمن تعنى القدرة ability والمهارة skill والحيوية أو الطاقة energy والتعميم dermination والقوة أو الصلابة strengh وقوة السلاح -spirit edness والشجاعة courage أو عكس الرذيلة أو العيب prowess وهى تختلف أو تعنى مايعارض أو عكس كلمة vice التى تعنى رذيلة أو عيب أو شائبة (أى الكلمة اللاتينية vizio).

** See : ch: VI (new principalities acquired by one's arms ability), p. 20 in cambridge texts of political history, M. the prince, 1988.

الحاكم لفترة طويلة ومن ناحية أخرى فان السلوك الذى يتمشى مع الإنسانية والأخلاق والعمل وفقا لمبادىء الدين بشكل أمرا مدمرا لسمعة الحاكم فى ادارته أو دولته حيث تكون القسوة والدهاء والقدر والعمل ضد مبادىء الدين قد كانت أسبابا للتحكم والسيطرة لزمن طويل لأنه تماما كما نتذوق الأشياء المرة فلانقبلها والحلوة فنجدها متخمه مجزعه كذلك أيضا الرجال يصيحون متزعجين فى الأزمنة الطيبةفيشتكى الرجل من الأزمنة الصعبة. ان هذه الأسباب فتحت ايطاليا لهانيبال Hanibal وفتحت أسبانيا للامبراطور سكيبيو scipio وقد كانت طرائق كل منهما متناسبة مع الزمن والأوضاع. وفى هذه الأزمنة فان سكيبيو لم يزدهر فى ايطاليا كما ازدهر هانيبال . وان رجلا مثل هانيبال لم يكن ليصيب نجاحا فى أسبانيا مثلما أصاب سكيبيو»

وهنا فان ميكيافيلى يعنى بالطبع ان هناك قوى خارجية تتحكم فى شئون الانسان لدرجة كبيرة ، كما أن الظروف المتغيرة نفسها يكون لها تأثيرها على شئون الانسان.

رسائل وخطابات مرتبطة بالأفكار التى وردت فى كتاب «الأمير»

الرسالة الثانية

من نيكولا ميكيافيلى الى صديقه فرانسيسكو فتورى

فى ١٠ ديسمبر ١٥١٣

خطابات وثيقة الصلة بفلسفة السياسة فى كتاب «الأمير»

Letters relevant to the prince

أرسل نيكولا ميكيافيلى Niccolo Machiavelli رسالة هامة إلى صديقه فرانسسكو فتورى Francesco vettori وذلك بتاريخ ١٠ ديسمبر عام ١٥١٣ حيث شرح ميكيافيلى لصديقه كيف يقضى صباحه فى ممتلكاته والإشراف عليها، وقراءة الشعر مثل شعر دانتى Dante وبتارارش Petrarch وتيبليوس Tibullus وأوفيد Ovid وكيف يقضى عصره فى الفندق أو الحانة القريبة حيث يشرب ويلعب الأوراق ثم يعود إلى عمله فى المساء.

بعد ذلك نجد ميكيافيلى يقول لصديقه فرانسيسكو فتورى أنه عندما يأتى المساء فإنه يعود إلى المنزل ويبدأ فى الدراسة. «وقبل أن ابدأ هذه الدراسة فى المساء وأدخل فى دراستى فاننى أغير ملابسى، التى تكون متسخة بالطين أحيانا وغير نظيفة وأرتدى الملابس المناسبة للمحكمة الملكية clothes that are fit for a royal court، واذهب إلى المحكمة القديمة الخاصة بالرجال الكبار فى السن حيث هناك القى الترحيب منهم وأشاركهم الطعام الخاص بى. وهناك فاننى لا أتردد فى أن أتحدث معهم وأن أسألهم لماذا يفعلون مثلما هم فاعلين، وهم يجيبون على أسئلتى بصراحة وبعيدا عن العطف أو الشفقة. وهناك أظل معهم ما لا يقل عن أربعة ساعات آخذ منهم الخبرة. وأنسى كل مشاكلى وخوفى من الفقر ومن الموت حيث أتخلص بأحاديثى معهم من هذه المخاوف. واشعر بأننى مستغرق كلية معهم.

وكما قال دانتى Dante[1] ذات مرة «انه لايمكن أن يكون هناك معرفة واقعية حقه اذا نحن لم نحتفظ أو نتذكر ماتعلمناه».

There can be no real knowledge if what has been learned is not retained.

في معالجة امور الحاكم الجديد :

وتأسيسا على ذلك فانتى أعود إلى منزلى وأسجل الأقوال الهامة التى سمعتها فى أحاديثهم معى. حيث أننى أكتب الآن كتاب هذا عن «الامارات» أعالج فيه مسألة الحكم وأسباب النجاح وأسباب الفشل فى حكم وادارة هذه «الامارات» principalities[2] حيث أكتب وأسجل وأحرر بعمق بقدر الامكان فى هذا الموضوع ، وأناقش ماهى الإمارة . وكيف يوجد أنماط مختلفة من الامارات، وكيف يتم الحصول عليها وامتلاكها وحكمها ، ووكيف يتم الابقاء عليها والتحكم فيها ، ولماذا تفقد فى بعض الأحيان. وهو يقول معه ذلك لصديقه فرانسيسكو فتورى ، «واذا لم تسرك هذه القطعه pieces من كتاباتى (يقصد مقالاته treatise or trattato حيث يتكون الكتاب من عدة مقالات)[3] فان هذه المقالة سوف تعجبك ، وعلى أية حال فإن ماجاء بهذه المقالة سيجد

---

(1) See : Dante, paradiso, V, 41-2 "Ché non fa scienza, sanza lo ritenere, avere inteso".

See also : cambridge texts in the history of political thought machiacelli, the prince , edited by quentin skinnes and Russell price cambridge university press, 1988, appendix A, letters relevant to the prince, p. 93.

(2) See : De principatibus.

(3) See : Discourses (II, 1; III, 42.).

- وراجع كتاب «نصوص كمبردج فى تاريخ الفكر السياسى» ميكيافيلى . الأمير . تأليف كونتين سكنر ، ورسل برايس ، ص ٩٤.

الاستحسان والقبول والترحيب من قبل الحاكم خاصة الحاكم الجديد، وبناء عليه فقد خصصت هذه المقالة فى معالجة وتناول طريقة حكم جيالينو Giuliano (وهو Giuliano de Medici الذى مات فى ١٧ مارس عام ١٥١٦) ويذكر ميكيافيلى لصديقه فرانسيسكو فيتورى أن فيليو كازافتشيا Filippo Casa-vecchia قد قرأ هذه المقالة التى كتبها ميكيافيلى، ويخبر ميكيافيلى صديقه فرانسيسكو أن نيليبو يستطيع أن يخبره بتفاصيل هذا المؤلف والمناقشة التى دارت بينهما بخصوص الأفكار التى وردت فى هذه المقالة. ويقول له أيضا أنه مازال ينقح هذه المقالة ويضيف اليها.

ويستطرد ميكيافيلى فى حديثه إلى صديقه فرانسيسكو فيقول له «فخامة السفير أنك تريد منى أن أهمل هذه الحياة وأن أحضر لكى استمتع الحياة معك، وأنا بالتأكيد سوف أفعل هكذا، ولكن فى الوقت الحاضر ، فإننى مشغول بمسائل معينة، وقد انتهى من حل هذه المسائل خلال ستة أسابيع» ثم يقول : «ان يجعلنى مترددا هو أن السودرينى the soderin موجودون الآن فى روما واذا حضرت إلى روما سوف أكون مضطرا لزيارتهم والتحدث معهم، وأننى أخشى أننى فى أثناء عودتى فاننى لن استقر فى بيتى بل قد ينتهى بى الأمر إلى المحكمة the bargiello ومنها إلى السجن «وذلك لان هذا النظام السياسى مع أنه قد شيد قويا جدا وأصبح مستقرا جدا، فانه مازال جديدا وبالتالى فانه مازال مشبوها ومريبا» (١).

---

(1) Letters relevant to the prince, niccolo machiavelli to francesco vettori, the florentine envoy to the holy see, 10 december 14 13, in cambridge texts in the history of political thought, machiavelli, the prince, edited by quentin skinner and russell price, cambridge university press, 1980, p. 94 - 95.

ror although this regime is very solidly based and is very is very stable. it is still new and therfore suspicious"

وبعد ذلك يشير ميكيافيلي إلى صديقه فرانسيسكو بأنه يوجد فى روما الكثير منه الجواسيس الذين قد يتسببوا له فى المشاكل. «وانني أمل فى انك سوف تقدر لى هذه المخاوف، واذا كان الأمر كذلك، فانني بالتأكيد سأحضر لكى أراك خلال الفترة التى أشرت اليها».

لقد ناقشت هذه المقالة (أو هذا المؤلف) الخاص بى مع فيلبو كاسافتشيا Filippo Casavecchia كما بحثت معه هل من الأفضل أن أنشر الكتاب أم لا، ولقد رأينا أن أحد الأسباب التى ترجح عدم نشره تتمثل فى مخاوفى من أن جيليانو Giuliano de medici لن يقرأ الكتاب، وفى هذه الحالة فان تبرو اردينجلى Pietro Ardinghelli سوف يرتب لنفسه أية فوائد يستطيع أن يستفيد منها من كتابى هذا . وان الجدل حول نشرى لهذا الكتاب متصل بالضغوط الواقعة على فيما يتعلق بالحاجة. حيث أننى أجد نفسى فى مواجهة صعوبات ، واذا استمرت حالتى الحاضرة لفترة طويلة فان فقرى سوف يجعلنى محتقرا»[1].

"One reason for not presenting it is my fear that giuliano might not read it, and then that ardinghelli might

---

(1) See : cambridge texts in the history of political thought, machiarelli, the prince, by: quentin sklinner and russell price, cambridge university press 1988, letters relevantr to the prince, niccolo machiavelli to francesco vettori, 10 december 1513, pp. 94-95

hiano might not read it, and then that ardinghelli might appropriate for himself any creadit arising from this latest labour of mine. an argument for presenting it is that I am pressed by need, for I find myself in difficulties, and if my present condition presists for very long my poverty will make me despised"

ولقد كان ميكيافيلي أيضا يخشى من أن يؤذيه الحكام التابعين لأسرة المدسى Medici أو أن يعتمدون عليه في أعمال تافهة by making me roll a stone فينصبون له شركا أو فخا لكي يدخلونه السجن. ويستطرد قائلا في خطابه لصديقه : وعندئذ «فلن أجد غير نفسي لكي ألومها»

"I should have only myself to blame"

ثم نجد بعد ذلك أن ميكيافيلي ينهي خطابه بان يقول لصديقه : انهم اذا قرأوا هذا المؤلف فانهم سيدركون أنني لم أكن نائما أو مضيعا لوقتي خلال الخمسة عشر عاما التي انشغلت فيها بدراسة في ادارة الدولة studying statecraff ، وأن أي انسان يرغب بشدة فى أن يخدمه انسان عارف بصورة جيدة من خلال الاستفادة من خبرة الآخرين*، وأكثر من ذلك فانه ليست هناك من شكوك يمكن أن تطرح حول «الثقة في» trustworthiness (جدارتي بالثقة) لانه منذ أن كنت دائما محل الثقة فإنني لست مستعدا الآن لأن أصبح غير جدير

---

* "And anyone should very much want to be served by a man who is very knowledgeable through profiting from the experiences of others moreover, no doubts should be cast on my trustworthiness because, since I have always been trusdtworthy, I could not now be prepared to become untrustworthy. for anyone who has been trustworthy and disintersted for forty three years, as I have, cannot change this charactes.

بالثقة ، لأنه ما من انسان كان جديرا بالثقه طيله ثلاث واربعون عاما كما ... أنا يمكنه أن يغير أخلاقه وخصائصه ان فقرى الشديد يشهد على إخلاص وعلى قناعتى**، ثم يستطرد قائلا لصديقه فرانسيسكو فيتورى ، سوف أكون سعيدا اذا كتبت لى ، شارحا وجهة نظرك حول الموضوع (هل ينشر الكتاب أم لا) ، ثم يتمنى له التوفيق والازدهار. (نيقولا ميكيافيلى فى ١٠ ديسمبر ١٥١٣ فلورانس).

تعليق على الرسالة :

الرسالة تدل على أن ميكيافيلى كان يخالط كبار القوم ويندمج معهم فى الأحاديث بغية الاستفادة من خبرتهم .

كما تدل على أنه كان ملما بثقافة عالية واسعة محبا للشعر والأدب والعلوم الانسانية فقد قرأ أشعار دانتى حيث أشار إلى مقولة دانتى الشهيرة الخاصة بقوله : «بأنه لايمكن أن تكون هناك معرفة واقعية حقه ، اذا لم نحتفظ أو نتذكر ماتعلمناه» (١) وخاصة مايتعلق بادارة الدولة ، كما أنه قد لقى من مصاعب الحياة والعوز والحاجه إلى المال بسبب اخلاصه وانسانيته ، كما تشرح لنا الرسالة انه كان يعمل بيديه ويزرع لنفسه مما جعل ملابسه مليئة بالطين فى بعض الأوقات فى الصباح كما ذكر فى رسالته. وتوضح الرسالة مدى تحيطه من غائلة المدس Medici وخوفه من الجو وخوفه من بعض زعامات السودرينى السائد فى ذلك الوقت وهو التجسس. كما تفيد الرسالة بأنه كان يبتغى نشر كتابه لكنه كان يخشى من أن ينتهى به ذلك إلى مشاكل لا لزوم لها. كما أنه أشار ضمنا إلى أن النظام السياسى الجديد مهما كان مشيدا على دعائم قوية ومهما كان مستقرا فانه يظل مشبوها لفترة طويلة.

** And my very poverty testifies to my fidelity and disinterestedness.

(1) Dante paradiso . V, 41- 2 "Ché non fa scienza, sanza , sanza lo ritenere, avere inteso"

بعض المفاهيم المفسرة والشارحة
للفلسفة السياسية عند ميكيافيلي
فـــي «الأمير»

Some Leading Concepts
in the "Prince"

الحظ او القدر

Fortuna

ويعتبر مهفوم «الحظ» من أهم المفاهيم التى استخدمها ميكيافيلى فى فلسفة السياسة وهى تعنى الكلمة الانجليزية "Fortune" و «الحظ» فى فلسفة ميكيافيلى السياسية يمثل «قوة» "Force" و «الحظ» Luck قد يكون عاملا مساعدا وهو يحمل معانى كثيرة مثل الظروف المتناغمة ، ومثل العوامل التى قد تؤدي إلى النجاح أو قد تؤدى إلى الفشل. وبصورة عامة يتكلم ميكيافيلى عن «الحظ» كقوة او وسيط يتدخل فى الشئون الانسانية . وعند ميكيافيلي فان «الحظ»ر Fortuna عندما يرتبط بمفهوم الفضيلة Virtu فانه يؤدى إلى «الحظ الحسن» و «الحظ» بشكل عام يتضمن ويشرح الأمور التى تكون متفقة او متعاطفة مع رغبات الانسان ومقاصده. ولذلك نجد ميكيافيلى يتكلم عن الحاكم الذى يصل إلى الحكم بالاعتماد على فضائله الخاصة، واحيانا الحاكم الذى يصل إلى الحكم بالاعتماد على ظروف متناغمة أو مساعدة ومعاونة قوى حكام اخرين . ونجده احيانا يشير إلى جذور الحاكم الاسرية كمصدر من مصادر «الحظ» أو «القدر» بالنسبة للحاكم . و «الحظ» يرتبط بفضائل الحكام ، فالحاكم العاقل يجب ان يستفيد من أوقات السلم لكى يستعد لاوقات الحرب . ويجب ان يستفيد من الاوقات الهادئة لكى يستعد للاوقات التى قد تكون عاصفة أو مسببة للمشاكل له أو المتاعب او الصعاب ، ولذلك فالحاكم الذى يمتلك الفضيلة الخاصة يتوقع أو يتميز بالتنبؤ بما قد يحدث في المستقبل ويستعد للتفاعل مع احداث المستقبل

وهذا هو الحاكم الذى قد يمتلك الحظ الحسن أو الذى يحقق النجاح [1].

لقد نبه ميكيافيلى إلى أن الحاكم الذى لا يدرك الشرور فى مراحلها المبكرة لا يعتبر حاكما حكيما *، كما ان الحاكم الجديد، بصفة خاصة، لا يستطيع ان يتجنب ان يكون قاسيا مزعجا ما دامت الدول الجديدة مليئة بالمخاطر **. وهكذا تكلم ميكيافيلى عن ما إسماه بالضرورة المرتبطة بالشدة والازعاج Harsh necessity بالنسبة للحاكم فى الدولة الجديدة.

المناسبة

Occasione

ولقد تكلم ميكيافيلى عن مفهوم «المناسبة» Occasione وهى من الكلمة اللاتينية Occasio وهو مفهوم مرتبط بكل من مفهوم الحظ-Fortuna ومفهوم الفضيلة Virtu وقد ترجمها بعض إساتذة السياسة فى الجامعات الانجليزية إلى كلمة «الفرصة» Opportunity وهو مشروح فى الفصل السادس VI من كتاب «الامير» حيث ناقش ميكيافيلى احوال الرجال او الحكام الذين أصبحوا عظماء بفضل قضائلهم الخاصة Theiro own virtu أى باستخدام قوتهم الخاصة دون الاعتماد علي غيرهم . فقد ذهب إلى انهم لم

(1) See; T. flanagan, ":The concept of fortuna in Machiavelli, in the political calculus, A. parel (Toronto, 1972, pp. 127 -56.

* A ruler who does not recognise evils in the very early stages cannot be considered wise (See: Ch; XIII Auxiliares, mixed troops and native troops, in Machiavelli, The Prince, by Quentin Skjnner and Russell Price, Cambridge University Press, Cambridge, 1988, p. 51.

** A new ruler, in particular canot avoid being considered harsh, Since States are full of dangers P. 58.

يعتمدوا علي الحظ Fortuna فيما عدا المناسبة Occasione أى أنهم استغلوا الاحوال والظروف المتناغمة او المتعاطفة او المتفقة مع مشروعاتهم * وان هذه الاحوال المتناغمة او المتعاطفة أو المتفقة تكون ضرورية حتى للرجال من أصحاب القدرة أو الكفاءة العالية . فإن الحكام اذا افتقروا إلى الفرصة Opportunity أو المناسبة Occasione فإن قوة روحهم تكون قد تعطلت ونفذت او انتهت ** لكن الحكام اذا امتلكوا «المناسبة» فان قوة ارادتهم تكون قد لمعت وتلألأت (La virtu dello animo Loro) واذا افتقد الحكام وافتقروا لمثل هذه الفضيلجة Virtu المرتبطة بتحقيق قوة ارواحهم فإن الفرصة او المناسبة تكون قد ضيعت*** وهكذا رأى ميكيافيلى أن الرجال من أصحاب القدرة والكفاءة العالية (Eccellente Virtu) تكون لهم القدرة علي ادراك الفرص واستغلالها .

واشار ميكيافيلى إلى أن الفرصة أو «المناسبة» Occasioni تتوفر من خلال الأحوال السياسية Political condition أو من خلال الموقف او الوضع العسكرى للدولة The military situation فقد تكون مواتيه او ملائمة Propitious . وفى شرحه لمفهوم «الحظ» او «القدر» ايضا فانه ينبه الى ان الحكام الذين يلعنون حظهم مخطأين لان قصور الحكام وفشلهم يرجع

* Conditions or circumstances favourable to their enterprises.

** The Strength of their spirit would have been sapped (Spenta).

*** But if they had lacked such virtu, "The oppertunity (Occasione) would have been wasted (p. 20) in: Cambridge Texts in the History of Political Thought, Machiavellim the prince, by: Quentin Skinner 1988. Also see: R. Price, "The sences of virtu in Machiavelli" European Studies review 3 (1973), pp. 315 - 45 see also: N. wood, "Machiavelli's concept of virtue Reconsidered". political studies 15 (1967), pp. 159 - 72.

إلى أنهم لم يستغلوا الاوقات الهادئة.Quiet times في بناء قوتهم وتقوية دفاعاتهم ، فهم يلعنون حظهم السيء* بدلا من ان يلعنون قصورهم الخاص** ولهذا فقد رفض ميكيافيلي إرجاع الحكام فشلهم الى «الحظ» Fortuna كما انه اشار الى «سياسة الارتكان او الاعتماد الكلى على الحظ» باعتبارها مصدر لتحطيم الدولة.(1) وبصورة عامة فان قوة «الحظ» أو «القدر» تتنوع وفقا للقدر أو مقدار الفضيلة Virtu المتاحة فى الدولة او المتاحة لدى الحاكم (2) .

لقد قال ميكيافيلي «لا اجهل إن كثيرون كانوا ، وما زالوا يعتقدون بأن الاحداث الدنيوية يسيطر عليها القضاء والقدر «الحظ» ويتحكم فيها الله، وان ليس في وسع البشر عن طريق الحكمة والتبصر تغييرها أو تبديلها ، وان لا علاج لذلك اطلاقا » ثم ينتهى الى القول بأنه مقتنع بذلك تماما لكنه يرى أنه:« من الحق ان يعزو الانسان الي القدر التحكم فى نصف اعمالنا، وانه ترك النصف الآخر ، او ما يقرب منه لنا لنتحكم فيه بانفسنا».

"I am disposed to hold that fortune is the arbiter of half our actions, but that it lets us control roughly the orheo half".

* Lament their bad luck.

** Their own ignavia.

See: Ibid; pp. 54 - 84 and p. 106.

(1) The policy of; Appoggiarsoi tutto in sulla fortuna "Trusting entierly to Luck" Ibid; Ch; XXV (How much power fortune has over human affairs, and how it should be resisted, pp. 84 - 85.

Also See: H. Pitkin, "Fortune is a woman (Berkele 1984).

(2) See: J. H. Whitfield, "The Anatomy of virtue", in Machiavelli (Oxofrd, 1947) PP. 92 - 105.

وهو هنا يشبه القدر أو «الحظ» : «بالنهر العنيف المندفع الذى يغرق عند هيجانه واضطرابه السهول ويقتلع الاشجار والأبنية ، ويجتث الأرض من هذه الناحية ليقذف بها إلى تلك ، فيفر الناس من امامه ويذعن كل شيء لثورته العارمة دون ان يتمكن أحد من مقاومته.» ويشرح ميكيافيلى هنا معنى القدر او الحظ فيقول : «ولكن على الرغم من هذه الطبيعة تكون له طبيعة أخرى يعود فيها الى الهدوء ". «وفى وسع الناس آنذاك أن يتخذوا الاحتياطات اللازمة باقامة السدود والحواجز والأرصفة ، حتى اذا ما ارتفع ثانية انسابت مياهه إلى أحد القنوات ، او كان اندفاعه لا ينطوى على تلك الخطورة وذلك الجنون» ويستطرد قائلا : «وهذه هى الحالة مع القدر يبسط قوته عندما تنعدم الاجراءات لمقاومته ، ويوجه ثورته إلى حيث لا توجد حواجز ولا سدود اقيمت فى طريقه لكبح جماحه» .

The same happens with fortune. which shows its powers where no force has been organised to resist it" Ch: XXV (How much power fortune has over human affairs, and how it should be resisted.

وقد نبه ميكيافيلى إلى أنه ما دامت الظروف تتغير فان القدر او «الحظ» يتغير ايضا Variando la fortuna "Since circumstances vary وهكذا فإن الحكام ينجحون عندما تتفق أو تتناسب مناهجهم وسلوكياتهم او تصرفاتهم مع الظروف *أو الاحوال التى يعملون فيها .

---

* If were possible to adapt one's character to suit "The times and circumstances".

وبأستبعسا على ذلك فانه من المهم للحاكم ان يعمل وفقا لمقتضيات «الزمن والظروف» La tempi e le cose . وبصورة عامة فإن المعاني التي يستخدم فيها ميكيافلي كلمة «الحظ» Fortuna تحتاج إلى ان يميز بينهما بعناية فهي تعتبر الظروف Circumstances وكأنها : «قوة» Force[1] مثل النهر المدمر الذي يتدخل في شئون الانسان

فالمناسبة عبارة عن موقف عام Fairly من السهل ادراكه مثلما هو الحال بالنسبة للعبودية الاسرائيلية في مصر Israelite Captivity in Egypt ولكنها تحتاج وتتطلب التخيل Imagination والطاقة Energy والشجاعة Courage لكي تتغير . وهنا يشير ميكيافيلي الى ما فعله قيصر بورجيا Cesare Borgia الذي انتظر الفرصة أو المناسبة لكي يدمر قوة القادة في الجزء الذي يتحكم فيه عائلة اورسيني Orsini ، وأتت له الفرصة الجيدة التي استغلها استغلالاً كاملا (راجع الفصل السابع من «الأمير» وراجع ايضا مختارات كمبردج ص ١٠٧) .

والمناسبة تعطي للحاكم العامل الحكيم «الفرصة» Opportunity للاضطلاع ببعض المبادرات السياسية الخاصة او المشروعات العسكرية.

Certain political intiati es or military enterprises

أو قد تكون بمثابة فرص محدده ناجمة عن تهيأ ظروف خاصة متاحة . فالمناسبة Occasion كما يصفها ميكيافيلي كانت دائما تصور أو توصف وكأنها امرأة تمر برقة او تمرق برقة «سريعا» بخصلة أماميه من الشعر لكنها

---

(1) See; J Macek, "La Fortuna chez Machiavel". Le Moyen Age, 77, (1971), pp 305 28, pp 49-52

بدون شعر من الخلف - بمعنى اننا نشعر بها من الا مام لحظة ثم ما تلبث ان تختفى فلا نسطيع ان ندركها مرة أخرى - وهذا التصور يمنح ويهيأ فرصة متناغمة يجب ادراكها والقبض عليها لانها لن تعود ابدا ثانية [1].

الضرورة

: Necessita

ومن المهم ان نشير إلى أن ميكيافيلى قد اشار فى اثنا، شرحه للسلوك الانسانى Hum n conduct الى مفهوم «الضرورة»Necessity وقد ترجمها بعض اساتذة السياسة الانجليز بمعنى ان يكون الحاكم مضطرا Obliged أو مدفوعا Forced ، او ان الظرف يحتم عليه بمعنى must أن يفعل او يسلك سلوكا معينا. أو أحيانا ترجمها بعض اساتذة السياسة الى كلمة من الضرورى Essential حيث يصبح عليه ان يسلك سلوكا ضروريا لحماية الدولة، تحت تأثير ضغوط او ظروف خاصة . حيث استخدم ميكيافيلى الفعل Convenire أو الفعل Dovere احينا اخري ليقول انه أصبح من الضرورى على الحاكم ان يسلك سلوك معين كما استخدم الكلمة Debbe بمعنى must وبصورة عامة اشار ميكيافيلى إلى أهمية الضرورة المرتبطة بالاحوال Conditional necessity كما انه اشار الي وجود نوعين من الضرورة : الضرورة الأولى ترتبط بمسائل مطلقة absolute عندما يكون الحاكم ليس أمامه أن يختار بين امرين ، وعندما تكون الظروف قد تم تقريرها

---

(1) Occasion was often depicted as a swiftly moving woman with a forlock and no hair behind. This image implies a favourable opportunity which must be recognised and seized (for it may never come again) See: H. Pitkin, fortune is a women" (Berkeley, 1984), pp. 75 - 85, and pp. 101-117.

من خلال القوى الطبيعية natural forces مثل الفياضانات Floods او الزلازل earthquakes أو منت خلال قوى انسانية كبرى مثل الانهزام من جيش اكثر قوة . وثانيا : هناك الضرورة التى اطلق عليها Hypothetical «الافتراضية» او المرتبطة بالتوقع او الافتراض أو التنبؤ ، إلى جانب ما اشرنا إليه بانه الضرورة المرتبطة بالأحوال المشروطة Conditional necessity او ما يمكن ان نسميه «ضرورة مشروطة» مثل الضرورة التى ترتبط بأهمية عدم وجود وسطاء بين الحاكم والمحكوم The agents involved لما أكد ميكيافيلى على أهميته خاصة فى كتابه «الأمير» .

مفهوم الحرية او التحرر

Liberta, Libero

والكلمة تعنى أولا وأخيراً معنى الحرية Freedom أو الحرية Liberty ، كما تعنى ان يعيش الانسان حرا Free فى ظل امارة Principality أو مملكة Kingdom أو جمهورية Republic اى انها غير خاضعة او تابعة لدولة (حيث كان استخدام كلمة «مستقلة» Indipendente لم يستخدم بعد الا بعد انتهاء نهاية القرن السادس عشر تقريبا) وباختصار فان ميكيافيلى رأي أن «الجمهورية» المتميزة العاقلة الحكيمة a genuine republic هى التى تتسم بانها تمتلك «مؤسساتها الحرة» Free institutions والتى تتميز ايضا بالفرص المتاحة لكل مواطنيها لكى يشاركوا فى الحياه العامة . وهذه الافكار مشروحة بصورة واضحة فى المقالات Discourses اكثر مما هى مشروحة فى «الأمير» الذى اختص بمسألة الامارات[1] Principalities .

---

(1) M. Colish, "The Idea of Liberty in Machiavelli, Journal of the History of IDEAS, 32 (1971), pp. 323 - 50.

وقد استخدم ميكيافيلي مفهوم «الحريه» Liberta ومفهوم Libero بمعنى تحرر لكي نشير الى « حرية الجمهوريه » Republican freedom او الاستقلال Independence وأحيانا فان المفهومين يندمجان معا فيشملان المعنيان . ولذلك نجد فى الفصل الخامس (Ch: V) من «الأمير» يقرر أنه من المهم عدم تغيير القوانين عندما يتكلم عن كيفية حكم الامارات التى تعودت على أن تعيش على قوانينها الخاصة [1]

الحرية المسرفة Licenzia

وتكلم ميكيافيلي ايضا عن ما اسماه «الحرية المرتبطة بالفوضى» Licenzia, Licenzioso ولسينزيا معناها Disorder أو الفوضى anarchy ونبه ميكيافيلي إلى خطورة «الحرية المرتبطة بالفوضى» خاصة اذا انتشرت فيما بين الجنود في النظام العسكرى فالدولة تصبح فى وضع سيء اذا افتقدت النظام او عاش سكانها بدون نظام أو بدون استقرار Sanza ordine كما ان النظام الجديد Li ordini nuovi يرتبط في تفكير ميكيافيلي بكل من «شكل الحكومة» Form of government أو «النظم السياسة» political institutions أو القوانين Laws بل ايضا يرتبط بالعادات Customs والمعتقدات beliefs فالنظام [2] Ordini يحمل كل هذه المعانى فى فلسفة ميكيافيلى احيانا على انه يرتبط بالمناهج Methods او التطبيقات Practices كما انه يتكلم احيانا عن الحرب والنظام بمعنى خاص فيكون النظام Ordini هنا معناه Disciplina واحيانا يكون معناه طرق القتال Ways of fighting

---

(1) (How one should govern cities or principalities that before being conquered used to live under their own laws)

(2) H Whitfield, "On Machiavelli's use of ordini", in Discourses on Machiavelli (Cambridge 1969). pp 141 62

Spegner

ومـن المفاهيـم الهامة المعاونة والشارحة لفلسفـة ميكيافيلي يجدر بنا أن نشير هنا إلى الكلمة المميزة والمذكورة كثيرا في فلسفة ميكيافيلي وهي كلمـة Spegner ومـعناها : يبطل أو يخـمـد أو يطفيء أو يقـضى علي Extinguish وهو يستـخـدمـهـا احيـانا بمعنى يذيب او يستخلص او يعالـج To render واحيانا بمعنى : يحطم قوة شخص ما أو جماعة ما To destroy someone's power واحيانا يستخدم ميكيافيلي الكلمة بمعنى يحيد أو يقضى على To neutralise اى بمعنى يتخلص من او يقتل To eliminate or to kill وعند ميكيافيلي فالكلمة ترتبط ايضا بكلمة Spento فـقـد خـدع زعـمـاء او رسيني وقـتلوا بواسطة قـيـصـر جـورجـيـا Ceasare Borgia ويرتبط هذا المفـهـوم بمفـهـوم الدفـاع عن النفس وتجنب المخاطر التى قد تلحق بالدولة فى فلسفة ميكيافيلي ولذلك ومهما يكن من أمر هذا المفهوم فـقد رأي ميكيافيلي ان قتل الانداد او المنافسين والأعداء مسألة هامة وفعاله فى نطاق حماية النفس (1)

Killing or neutralising rivals or enemies are very effective ways of protecting oneself.

---

(1) See: Chambridge texts in the history of political thought, by: raymond Geuss, columbia University, Quentin skinner, University of cambridge Richard Tuck, University of Cambridge, 1988. and See:

Machiavelli, the prince, edited by: Quentin Skinner, professor of political science in the University of Camberidge and Russell Price, University of ~Lancaster, Cambridge University Press, Cabbridge, New York, Melborne, Sydney, 1989, Appendix B, Notes on the vocabulary of the Prince, pp. 100 - 113.

مفهوم الدفاع عن النفس

Assicurare, Assicurarsi

والحقيقة ان مفهوم Spegnere يرتبط ايضا بمفهوم آخر هو مفهوم الدفاع عن النفس او حماية النفس فمفهوم Assicurare معناه يحميProtect أو يدافع To defend وهو يستخدمه ايضا بمعنى «يأمن» To reassure فقد سعى قيصر بورجيا Cesare Borgia الى خداع وقتل زعماء عائلة اورسيني Orsini فى قطاعهم مدعيا انه متعاطف معهم عندما قابل ممثليهم ، كما عامل باولو اورسيني Paulo Orsini فى أمولا at Imlola بكرم واعطاه المال والملابس والخيول لكى يأمن شره Per assicurarlo (Ch; XII p. 66) من «الامير» وعلي أية حال فقد عرف المصلح فى المؤسسات السياسية الفرنسية وفي الدستور فى العصور الوسطى ان : الشعب يكره النبلاء لانهم كانوا يخافوهم ويخشون منهم لذلك نجد ان ميكيافيلى عندما يتكلم عن الحكام الذين اتوا الى السلطة من خلال الطرق الشريرة Ch. VIII يشير الى أهمية افعال الغضب والقسوة Harsh or cruel deeds ما أسماه Le crudelta وأهمية الاعتماد عليها واجرائها معا لانها ضرورية لكى يشيد الحاكم قوته وضرورية للحاكم لكى يدافع عن نفسه Per necessita dello assicurarsi كذلك نجد ميكيافيلى عندما يتكلم عن «الامارات الجديدة التى شيدت بقوة الاخرين وتعاطفهم» فانه يشير إلى ان الحاكم الجديد يكون من الضرورى عليه ان يتعامل بفعالية مع اعدائه To deal Effectively with his enemies ويتم ذلك من خلال الافعال المرتبطة بالقسوة والشدة حتى يستطيع الحاكم ان يعالج مواطن الضعف

وقد قال ميكيافيلى في الفصل التاسع IX من كتاب الأمير ان :
«الحاكم لا يستطيع ان يحمى نفسه من الشعب الكاره له ، لكثرتهم non si puo' mai assicurare · ولكنه يستطيع ان يحمى نفسه Si puo assicurare من النبلاء nobles لانه يوجد مثله منهم» .

كما قرر انه من الضرورى للحاكم ان يعرف كيف يتحكم ويضبط ويستفيد أو يستخدم النبلاء وان يتعامل معهم بفعالية باعتبارهم خطراً عليه[1] .

It is essential for a ruler to know how to control and make use of the nobles, and deal effectively with those who are dangrous.

كما جاء فى كتاباته فى «الأمير» خاصة فى الفصل XXIV الذى عالج فيه «لماذا خسر حكام ايطاليا دولهم» . وهكذا فمن الضرورى للحاكم ان يحرص على حب الشعب له وان يتجنب عداء الشعب to keep[the people friendly من ناحية ، وان يعرف كيف يتعامل مع النبلاء من ناحية اخرى ، ان يؤمن الاوضاع الخاصة بمواجهة النبلاء. [2] To secure the position against the nobles.

وهكذا نلاحظ ان مفهوم Spegnere مشابه لمفهوم Assicurarsi اذ لا شك ان التخلص من الاعداء يرتبط ارتباطا كبيرا بمسألة الدفاع عن النفس او حماية النفس Assicurare, assicurarsi .

---

(1) See; Ch; IX, the civil principlality, pp. 34 - 35 in the prince by- Quenten skinner and Russell price, cambridge University press, 1989,
(2) IBID: Ch; XXIV (Why the rulers of Italy have lost their states),

الصديق Amico

ويبقى لنا اذن ان نشير إلى تأكيد ميكيافيلى على أهمية مفهوم الصديق أو الحليف Amico, amicizia بمعنى أهمية ان يكتسب الحاكم صداقة الرجال وصداقة الحكام وصداقة الشعب وحبه، فهو يتكلم عن Guadagnarsi amici بمعنى اكتساب الرجال أو صداقتهم وحبهم To wine men ،«كما شرح فى كتابه «الأمير» عندما تكلم عن أهمية القلاع او عدم أهميتها وأكد ان القلاع الهامة التى يجب يبنيها الحاكم هى حب الشعب له .

حيث نجده ايضا يؤكد ان «الحظ» يكون دائما صديق الشباب Fourtuna is always amica de giovani وهكذا على الحاكم ان يكون صديقا دائما للرجال وان يفعل كما يفعل الشباب مما يرتبط بضرورة المغامرة أحيانا،فقد اعتقد ميكيافيلى ان المغامرة والتهور أحيانا يكون خير من الحذر فقد رأى ان الحظ كالمرأة التى تسير برقة امامنا وهي واضحة الملامح من الامام لكنها غير مدركة من الخلف ، وهى تمر فى سرعة لذلك لابد من اقتناص الفرصة ، واذا كان الظروف تتبدل فان الرجال حيث يمارسون افعالهم عليهم اتباع المرونة ؛ وهم يحققون النجاح اذا كانت اساليبهم متفقة مع الظروف وهم يفشلون عندما تتعارض مناهجهم او اساليبهم مع هذه الظروف المتغيرة دائما . ولما كان الحظ كالمرأة ، فانك اذا اردت ان تتحكم فى هذه المرأة وان تجعلها منضبطة عليك ومن الضرورى ان تعاملها بشدة، ومن الواضح انها لا تسمح بامتلاكها للرجال الذى يسير بتمهل وأناة ويحتسب الامر. ولكنها تسمح بامتلاكها للرجل الشجاع الطموح صاحب التصميم ،

وطالما كان الحظ كالمرأة فانه يميل دائما إلى الشباب ، لانهم اقل حذرا واكثر ضراوة [١]

ومن المهم جدا للحاكم ان لا يهمل اطلاقا تفكيره الدائم فى نطاق فن الحرب , فالحاكم عليه وان لا يهتم بشيء بقدر اهتمامه بالحرب وتنظيمها وطرقها واساليبها ، وان لا يفكر او يهتم بشيء سواها ، اذ ان الحرب ، هى الفن الوحيد الذى يحتاج اليه كل من يتولي القيادة [٢] ، كما يجب عليه الابقاء على جنوده في حالة من التدريب والنظام ويعود جسمه على المشاق، وان يدرس طبيعة بلاده، وان يهتم دائما بالمسائل العسكرية ، وبمسألة تحديث السلاح وتطويره ، وهو السلاح الذى يصنعه هو بنفسه ويتعود على استعماله والتدريب عليه .

---

(1) See: Ch: XXV (How much power forutne has over Human affairs, and how it should be resisted), in the prince, by: Quentin skinner and Russell price, or. cit, p. 87.

(2) See: "GREAT POLITICAL THINKERS, MACHIAVELLI", by: Quentin Skinner,. HOBBES by Richard Tuck, Mill by William thomas, Marx by peter signer, Oxford, New York, Oxford University Press 1992. See esp: The Lessons of diplomacy, and See: his analysis of political leadership in the "prince", pp. 23 - 28. also see: "Good armies are even more important than good laws", pp. 38 - 40 also see:

CAMBRIDGE TEXTS IN THE HISTORY OF POLITICAL THOUGHT, MACHIAVELLI, The prince, EDITED by QUENTIN SKINNER, P rofessor of political science in the University of Cambridge, AND PUSSELL PRICE, Professor of politicsd at University of Lancaster, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, CAMBRIDGE, NEW YORK, MELBOURNE, SYDNEY, 1989. See: pp. 51 - 52.

نقد وتعليق استنتاجى

VERIFIED CONCLUSION

تمثل فلسفة السياسة عند نيقولا ميكيافيلى نموذجا شهيرا فى عالم التفكير السياسى الذى نستطيع أن نجد تأثيره واضحا حتى اليوم فى نظم الحكم المعاصرة ، وفى نمط العلاقات الدولية والسياسة الدولية فى عالمنا المعاصر. ويظهر تأثير هذا التفكير واضحا فى سياسة القوى العظمى المعاصرة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، كما يظهر أيضا تأثيره فى السياسة الاسرائيلية المعاصرة فى منطقة الشرق الأوسط وفى علاقة هذه الدولة المغتصبة لحقوق الشعب الفلسطينى بالدول المجاورة لها. مما جعلها حتى اليوم دولة ليس لها حدود دولية متعارف عليها مثل بقية الدول - ولعل رئيس الحكومة الأسرائيلية الحالية بنيامين نينياهو Benjamin Netanyahu هو النموذج الكامل للسياسة الميكيافيليه فى منطقة الشرق الأوسط وفى عالمنا المعاصر.

لقد فصل ميكيافيلى الضرورة السياسية عن الأخلاق ورأى أن الحاكم فوق الأخلاق التى يراد فرضها فى داخل المجتمع والدولة. وأكد الأنانية الشاملة فالطبيعة البشرية أنانية فى جوهرها ، وهى تقوم إلى حد بعيد على نزعة العدوان والتملك. والدولة الناجحة يجب أن يؤسسها رجل واحد كما أن التكوين الأخلاقى والاجتماعى للشعب ينشأ عن حكمة الحاكم المشرع وبعد نظره مع ملاحظة ان «الحاكم» باعتباره خالق الدولة، ليس خارج القانون فحسب ، ولكنه خارج الأخلاق أيضا، وليس من مستوى يحكم به على أفعاله ، فيما عدا نجاح

وسائله السياسية لتوسيع نطاق قوة دولته وإدامتها. لقد نظر إلى العوامل الأخلاقية والدينية والاقتصادية فى المجتمع ، كأنها قوى يستطيع السياسى الماهر أن يحولها لصالح الدولة، ولما كان الحاكم هو خالق الدوله الذى يجعل الالتزامات الأخلاقية تصبح مستمده من القانون والحكم، وذلك الحكم الذى يشيده «حاكم» لاينطبق عليه القانون ولاتنطبق عليه قواعد الأخلاق. فهو ليس خارج القانون وحده - يقول نيتنياهو أنه لايتعامل مع الأمم المتحدة وقوانين المنظمة الدولية - بل هو خارج الأخلاق التى يسنها ويشيدها القانون الذى وضعه هو، وهكذا أقر ميكيافيلى استخدام القسوة والضرر والقتل أو أيه وسيلة أخرى ، شريطة أن تستخدم هذه جميعا بالقدر الكافى من الذكاء والسرية كى تصل إلى غايتها. ان هذا «الحاكم» لايخشى من اللوم لأنه «من الخير أن تعفيه النتيجة عندما يتهمه الفعل».

وهذا الحاكم العاقل يجب أن يبدوا دائما على أنه يبشر بأنه يحفظ السلام والعهد الوثيق ، ولكنه يجب أن يكون عدوا لهما فى آن واحد فإن الأمير أو الحاكم العاقل لايفى بالعهود والمواثيق اذا كان فى هذا الوفاء بها تعارضا مع مصالحه ومصالح دولته. فهو يتصرف كالثعلب Fox أحيانا وكالأسد Lion أحيانا أخري وفقا لمقتضيات الحال والواقع والضرورة: والحرب تحتاج من الإنسان أن تستخدم أسلوب الحيوان وأسلوب الانسان كليهما معا. وهى تحتاج إلى الجرأة والاقدام وعدم التمهل. لكنه لايجب أن يظهر أو يبدوا كارها للوفاء والاخلاص بل يجب أن يقنع الجميع بأنه مؤكدا لأهميتها ولايجب أن يشعر الناس أنه لايحمل صفات انسانية، بل يجب ان يقنع الناس كلهم بأنه الحاكم العاقل المحب للسلام المخلص الوفى بالعهد وأن يحرص على أن يظهر محبا لهذه الأخلاق متعلقا بها. فهو لايخرج من فمه إلا الكلمات التى تدل على أنه ودود وانسانى ومخلص ومحبا للرحمه ومتدين مع أنه قد يكون مضطرا لأن يتحول إلى صفات مضاده لهذه الصفات.

فالحاكم العاقل هو الذى يستطيع أن يخدع الرجال To deceive

men. وهذا الحاكم يجب أن يفكر دائما فى الحرب والاستعداد للحرب وأن يعرف بأنه اذا انشغل عن الحرب فقد يفقد دولته ، فالسبب الرئيسى لفقدان الدولة عدم احترام فن الحرب، والطريق إلى التمكن من هذا الفن واحترامه هو أن يكون «الحاكم» متهيأ له ومتمكنا منه ومنشغلا به فى نفس الوقت . وهنا يظهر لنا الأهمية الكبرى التى علقها ميكيافيلى على فن الحرب فى ارتباطه بأن يدخل الحاكم الحرب ليكسبها طالما وجد نفسه كفأ لها. وهنا تبرز أهمية اعداد الجيش والأهمية القصوى للميدان الجيد باعتباره أساس الجيش الجيد وأهمية النظام الجيد فى نطاق الجنود والجيش حيث ان النظام الجيد يجعل الرجال بواسل ويقضى على مشاعر الخوف لديهم.

وفى تقدير ميكيافيلى فإن النهاية الأساسية أو الهدف الأساسى لكل الحرص والآلام التى نحصل عليها ونعانيها من جراء الابقاء على النظام الجيد والتدريب هو أن نجعل الجيش على مقدرة عالية متوافقا وجاهزا لكى يقاتل أي عدو بطريقة ملائمة لأن النصر الكامل عادة يضع نهاية الحرب ، وعلى هذا فإن «القائد» أو «الجنرال» لايمكنه تجنب المعركة، عندما يصمم العدو عليها ويغامر بها فى كل العروض.

ومما لاشك فيه أن هذه الأفكار مازالت تجد تطبيقا لها فى حياة البشر، فقد ظهرت هذه الفلسفة السياسية فى أثناء الحرب العالمية الثانية وكانت واضحة فى تفكير هتلر، كما أنها ظهرت فى عالمنا المعاصر اليوم بصوره أوضح وأكثر مطابقة فى تفكير وتصرفات والسلوك السياسى الخاص بالحكومة الاسرائيلية بزعامة نيتنياهو وموقفه الأخير من الحقوق الفلسطينية فى وطن قومى لهم، ولاشك أننا هنا نذكر مفهوم «الصديق» أو «الحليف» الذى أشار ميكيافيلى إلى أهميته بالنسبة للحاكم خاصة اذا كان هذا الحليف قويا مثل الولايات المتحدة الأمريكية واللوبى الصهيونى الأمريكي. والسؤال الذى نطرحه هنا : هل كان ميكيافيلى يهوديا ؟

أهم المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها الدراسة

References And Notes

- A History of political thought in the sixteenth century: By.. J. W. Allen 3 d ed. london, 1951, part iv, ch :2

- C. Schmitt, E. Kasslere and Q. skinner, history of renaissance philosophy, (cambridge, 1988).

- Cecil Crayson, "The life of Niccolo Michiavelli (Routledge, 1963).

Ch: XXV (How much power forutne has over Human affairs, and how it should be resisted), in the prince, by: Quentin skinner and Russell price, or. cit, p. 87.

- Dlane Collinson, "fifty Major philosophers, A Reference Guide, Routledge, london and New York, first published in 1987 by Croom Helm, Niccolo di Bernardo, del Machiavelli (1469 - 1577), pp. 41 - 43.

- F. Gilbert, "History : Choice and commitment (cambridge , Mass, 1977), p. 215 0 46.

- F. Gilbert, the Humanist concept of the prince and the prince of Machiavelli", in History: choive and commitment, pp. 91 - 114.

- F. Gilbert, "machiavelli's "prince" and its foreunners (durham, N. C., 198).

- F. Gilbert , "History : choice and commitment (cambridge , Mass, 1977), pp. 215 - 246.

- Fleisher, M. Machiavelli and the nature of political thought (Croom Helm, london, 1973).

- Great Political Thinkers, Machiavelli by : Quentin skinner, Hobbes by : richard stuck, Mill by : William Thomas, Marx by Peter Singer, oxford, New York, oxford university press, 1992. see : 1 - the Diplomat, the Humanist background, pp. 11 - 22. and see : his analysis of political leadership in the prince, pp. 23 - 28. also see : 2 - the adviser to princes, pp. 29 - 39. also see : "good laws and good armies" and "good armies are even more important than good laws" and "there must be good laws" and see : "reject these armies and turn to their own" pp. 39 - 40.

- G. A. Pocock, the Machiavellian Moment (princeton, 1975) on the prince.

"GREAT POLITICAL THINKERS, MACHIAVELLI", by: Quentin Skinner,. HOBBES by Richard Tuck, Mill by William thomas, Marx by peter signer, Oxford, New York, Oxford University Press 1992. See esp: The Lessons of diplomacy, and See: his analysis of political leadership in the "prince", pp. 23 - 28. also see: "Good armies are even more important than good laws", pp. 38 - 40 also see:

CAMBRIDGE TEXTS IN THE HISTORY OF POLITICAL THOUGHT, MACHIAVELLI, The prince, EDITED by QUENTIN SKINNER, Professor of political science in the University of Cambridge, AND RUSSELL PRICE, Professor of politics at University of Lancaster, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS. CAMBRIDGE, NEW YORK, MELBOURNE, SYDNEY, 1989. See: pp. 51 - 52.

- H. Whitfield, "On Machiavelli's use of Ordini", in Discourses on Machiavelli (Cambridge 1969), pp. 141 0 62.

- H. Baron, , Machiavellii the Republican Citizen and the Author of the "Prince", English Historical Review 76 (1961), pp. 217 - 53.

- Histoirs de la science politique by: p. Janet. 2 vols 4 th ed paris, 1913 vol. 1, pp 491 - 602.

- H. Pitkin, fortune is a woman (Berkeley, 1984). pp. 101 - 117.

- I. berlin, "The originality of Machiavelli", in Against the current, ed. H. Hardy (london, 1979), pp. 25 - 79 analysis Machiavelli's political morality.

- Italian studies 40 (1985), pp. 1 - 16.

- I. Berlkin, "the originality of Machiavelli", in Against the current, ed. H. Hardy (london, 1979), pp. 25 - 79.

- J. H. Hexter, "Il Principe and Lo stato" in the vision of politics on the eve of the reformation, (london, 1973), pp. 150 - 78.

- J. N. Stephens, the fall of the florentine republic 1512 - 1530 (oxford, 1983), pp. 88 - 91.

- J. R. Hale, "Florence and the Medici (london, 1977).

- J. H. Hexter, "the Loom of language and the fabric of Imperatives : the case of Il principe and Utopia", in the vision of politics, pp. 179 - 203.

- J. H. Hexter, "Il principe and Lo state", in the vision of politics on the Eve of the reformation (london, 1973), pp. 150 - 78.

J. Macek, "La fortuna" chez Machiavel". Le Moyen Age, 77 (1971), pp. 305 - 28, 493 - 524

- J. H. Whitfield, "the Anatomy of virtue", in Machiavelli (oxford, 1974), pp. 92 - 105.

- J. Charles king, James A. McGilvray: department of philosophy, pornona college, "political and social philosophy", traditional and contemporary readings, McGraw - Hill Book company, New York, London, Mexico, Montreal, New Delhi, toronto, copy right 1973, Nicoolo Machiavelli, p. 80 - 85.

- Johnny christensen, An Essay on the unity of stoic philosophy, copenhagen, 1962.

- L. Schapiro, the government and politics of the soviet union 3 rd ed (london, 1968) pp, 147 - 179.

- L. Strauss, "Thoughts on Machiavelli (Glencoe, III., 1985).

- M. McCanless, "the Discourse of Il Principe (Malibu, 1983).

- Margaret E. Ressor, "the political theory of the old and Middle stoa", New York, 1951.

- Machiavelli, N. the prince and the Dicourses, ed. Max Lerner (New York, 1950).

- Machiavelli, the man, His work and his times, by jeffirey pulver, london, 1937.

- Machiavelli, by : qiuseppe prezzolini. New York, 1930.

- Machiavelli, by luigi russo Bari, 1966.

- Machiavelli's concept of virtu Reconsidered, political studies, June, 1967. by Neal wood.

- Makers of Modern strategy, Military thought from Machiavelli to Hitler, edited by: Edward Mead Earle, with the collaboration of gorden A. craig and Felix gilbert, princeton, princeton university press, 1971, chapter 1, Machiavelli : the Renaissance of the Art of war, by : felx gilbert p. 3 - 25.

- Modern politics and government, by: Alan R. Ball, principal licturer in government, port mouth polytechnic second edition, Alan R. Ball 1977, published by; the Macmillan press ltd printed in Hong Kong, sea ch: 12 (the military and politics, characterstics of the military, pp. 217 - 227.

- M. Colish, "the Idea of Liberty in Machiavelli. Journal of the History of Ideas, 32 (1971), pp. 323 - 50.

- M. McCanless, the Discourse of Il principe (Malibu, 1983).

- M. Colish, "the Idea of Liberty in Machiavelli, Journal of the History of ideas, 32 (1971), pp. 323 - 50.

- M. Colish, "Cicero's De officis and Machiavelli's prince, sixteenth century journal, 9, (1978), pp. 81 - 49.

- N. Rubinstein, "The government of Florence under the Medici (1434 - 1494), oxford, 1966.

- N. Rubinstein, "the Beginnings of Niccolo Machiavelli's Career in the Florentine chancery, Italia studies II (1956), pp. 72 - 91.

- N. Wood, "Machiavelli's concept of virtú Reconsidered",

politi. al studies 15 (1967), pp. 159 72

N. Rubinstein, "the Beginnings of Niccòló Machiavelli's Carcer in the florentine chancery", Italian studies II (1956) pp. 72 - 91.

- P. Bondanella and Mausa, machiavelli, (penguin, Harmondworth, 1970.

- Q. Skinner, Machiavelli, "revised sd n, Oxford, 1985).

- Q. skinner, "The foundations of Morden politi..l thought, 2 cols. (cambridge, 1978).

- Q. Skinner, the foundations of modern political thought, 2 vols (cambridge, 1978).

- R. Price, "the senses of virtú in Machiavelli", European studies review 3 (1973), pp. 315 - 45.

- R. Price and H. pitkin, fortune is a w man (berkeley, i9840.

- R. Price , "the theme of Gloria in Machiavelli", Renaissance quarterly 30 (1977), pp. 588 - 631.

- R. Price, "Ambizione in Machiavelli's thought", History of political thought 3 (1982), pp. 382 - 445.

- R. Black, "Florentine political traditions and Machiavelli's Election to the chancery.

- R. Price, "the theme of gloria in Machiavelli, Renaissance quarterly 30 (1977), pp 588 - 631.

- R. Price, "Ambizione in Machiavelli's thought", History of political thought 3 (1982), pp. 382 - 445.

- S. P. Hunting, the soldier and the state (combridge, Mass, 1957).

- Skinner, Q. Machiavelli (oxford university press, oxford, 1981.

- See : about observing men's actions and their different methods and see : on the reasons for human success and failure, p. 96 - 97.

- S. Anglo. "Machiavelli : a Dissection (london, 1969).

- T. Flanagan, "the concept of fortuna in Machiavelli, i the political calculus ed. A. Parel (toronto, 1972) pp. 127 - 56.

The will of Heaven and a consequena of Late.

- The Meaning of stoicism, by Ludwig Edelstein, cambridge, Mass. 1966; ch: 2: pp. 42 - 44.

- The life of Nicolo Machiavelli, by: Roberto Ridolphi, chicago, 1963.

- The social and political ideas of some Great thinkers of the Renaissance and the reformation Ed by: F. J. C. Hearnshaw. London, 1925. ch: 4.

- The life and times of Niccolo Machiavelli, by p. villari. Eng. trans, by Linda villari, 2 vols. Rev. ed. London, 1892.

- Thoughts on machiavelli by strauss. Glencoe, III., 1958.

- The art of war, trans E. Dacres (tudor translations, first series no 39) (AMS press, New York, NY, 1967).

رقم الإيداع في هيئة دار الكتب والوثائق القومية
١٦٧١/٩٧ تحريراً في ١٩٩٦/١٢/٢٨
الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 5246 - 05 - 9

